الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة –

كلية الأدب واللغات

قسم اللغة والأدب

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: ط1: 171735085051

رقم التسجيل: ط2: 171735080575

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

بعنوان:

جدلية الأنا والآخر"ربيع حار" لـ "سحر خليفة"

دراسة في ضوء النقد الثقافي

إعداد:

فاطنة رويصات

سماح بن حمودة

إمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	جامعة	الصف
	أستاذ محاضر "أ"	المسيلة	رئيسا
نور الدين سليني	أستاذ محاضر "أ"	المسيلة	مشرفا ومقررا
	أستاذ محاضر "أ"	المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1442ه-1443ه الموافق لـ 2021م-2022م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي
(خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث)

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة) عبد الحميد بورايو الصفة طالب

الحامل(ة) لبطاقة التعريف رقم 207547216 والصادرة بتاريخ: 2022-03-14

بدائرة: المسيلة المسيلة

المسجل(ة) بكلية: الآداب واللغات قسم: اللغة والأدب العربي تخصص: أدب حديث ومعاصر

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث مذكرة ماستر، عنوانها:

جدلية الأنا والآخر في رواية "ربيع حار لسمر طليقة"
دراسة في النقد الثقافي

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز بحث المذكور أعلاه.

المسيلة في: 2022/06/19

إمضاء المعني

بالملحقة المؤرخة في: وبعد تسجيل المرور رقم: 93 المؤرخ في: 24-07-2016 الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

تصريح شرفي

(خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث)

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة): رويحات خاطنة الصفة: طالب

الحامل(ة) لبطاقة التعريف رقم: 20114398 والصادرة بتاريخ 2017/04/27 بدائرة بوسعادة

المسجل(ة) بكلية: الآداب واللغات قسم: اللغة والأدب العربي أدب حديث ومعاصر

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث مذكرة ماستر ، عنوانها:

جدلية الأنا والآخر في رواية "ربيع حار لسمر خليفة" دراسة في النقد الثقافي

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

المسيلة في 06/07/2022

إمضاء المعني

نظر وصدق على التوقيع
البيض ... السيلتاني ...
رئيس المجلس الشعبي البلدي

من رئيس المجلس الشعبي البلدي
وبتفويض منه
ملحق رئيسي بالإدارة المحلية
بلماجي صليحة

ملاحظة : أنجزت هذه الوثيقة وفق ملحق القرار رقم: 933 المؤرخ في: 28 -07- 2016 ، الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها .

إهداء

قال تعإلى:"**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** " (سورة المجادلة 11).

نحن لها وان ابت رغما عنا اتينا بها

(من زرع حصد) عبارة لطالما كنا نسمعها ولكن لا ندرك ما معناها وها ذانا اليوم بدأت أدرك ما معنى أن تكون هذه العبارة ... الحمد لله دائما وابدا الحمد لله حمدا كثيرا الحمد لله على هذه النعمة التي بدأت أحصد ثمارها بعد عدة سنوات من التعب والجهد، بعد كل الصعوبات والعوائق، بعد كل المطبات التي واجهتنا في هته المسيرة، شكرا لكل شخص كان عونا لي بحجم السماء.

إلى كل من كلله بالهيبة والوقار ... إلى من علمني العطاء بدون انتضار.. إلى من احمل اسمه بكل افتحار ... أرجو من الله أن يمد في عمرك ... (والدي العزيز)

وإلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان.

والتفافي .... إلى سمة الحياة وسر الوجود إلى من كان دعاءها سر نجاحي إلى أغلي الأحبة (أمي الغالية).

إلى اخواني واخواتي.. محبة ووفاء أنتم سندي وحزام ظهري وكياني وفلذات كبدي

إلى القريبين من القلب والداعمين والمساندين في السراء والضراء شكرا لكم دمتم لي.

إلى رفقاء

تخرجنا وأخيرا والحمد لله، اللهم انفعنا بما علمتنا وزدنا علما.

سماح بن حمودة

إهداء

إلى من ساندتني في صلاتها ودعائها إلى من سهرت الليالي تنير دربي

إلى من شاركتني أفراحي ومآسيّ

إلى نبع العطف والحنان

إلى أجمل ابتسامة في حياتي

إلى أروع امرأة "أمي الغالية"

إلى من علمني أن الدنيا كفاح وسلاحنا العلم والمعرفة

إلى الذي لم يبخل على بأي شيء

إلى أعظم وأعز رجل "أبي العزيز"

إلى من هم بحق أهل الوفاء والإخاء "إخوتي وأخواتي" الذين شجعوني على مواصلة هذا المشوار

إلى أساتذتي وكل من علمني

إلى أهلي وأقاربي

رويصات فاطنة

شكر وعرفـــان

الحمد لله عز وجل الذي وفقنا لإتمام هذا العمل المتواضع، لولا فضل الله علينا لما وصلنا لهذا

وعملا بقوله –صلى الله عليه وسلم–: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

إما القلب أبى إلا أن يبوح بكلمة شكر وتقدير لأستاذنا الفاضل **سيليني نور الدين** قدم لنا المساعدة وكان عونا لنا في مذكرتنا وهنا سوف نضع كلمتنا الأخيرة

إلى كل من ترك بصمة في هذه المذكرة وقدم لنا يد العون، سواء من قريب أو من بعيد فلكم منا أسمى عبارات التقدير والامتنان

وأخيرا الحمد لله رب العالمين

مقدمة

نالت إشكالية الأنا والآخر حضورا لافتا في الرواية العربية المعاصرة وجلبت اهتمام الكثير من النقاد والمفكرين الذين تناولوا علاقة الشرق العربي (الأنا) بالغرب (الآخر) في أعمالهم الروائية، وجدلية هذه العلاقة في هذا البحث مؤسسة على البناء النظري للمفاهيم والنظريات والمقاربات السائدة في الأدبيات الغربية باعتبار أن النص الروائي لا يقدم صورا حية لكننا نرى مقابل ذلك صورا أخرى، وهو أن الروائي يبث أيديولوجية، نظرات، رؤية، مما يتصل بالعلاقات الإنسانية ومحيطه الاجتماعي والطبيعي، وبالتاريخ وما يبثه الروائي إنما هو إنتاج فردي اجتماعي معين، لذلك فقد انبرت الرواية العربية بشكل جلي إلى المواضيع الساخنة والجدلية والأكثر توترا في صلة الأنا بالآخر منذ القرن الماضي إلى يومنا هذا، وتظل العلاقة الجدلية بالآخر حاضرة بكل أطيافها ونتائجها ومؤثراتها وتحولاتها.

إن الظرف الذي عايشه الوطن العربي بات فاصلا في تبلور هذه الوضعية المعقدة، فأنشأت واقعا تشاؤميا تجلت من خلاله سماته الخوف والريبة في التعامل معه، وتعالت تحذيرات من الانغماس في حضارته المادية والروحية المختلفة جذريا عن حضارة الأنا وتعود جذور قضية الجدل بين الأنا والآخر إلى الفترة الممتدة إلى ظهور الإسلام وما صاحبه من معوقات خلال انتشاره عبر الأمصار، فاصطدم بمذاهب دينية ولدت صراعا ظل متناميا إلى حاضرنا، ولعل تأصيل هذه الصورة يعد بحد ذاته دافعا رئيسيا ويحفزنا ويقودنا إلى مدارسة موضوع الآخرية في الخطاب الروائي العربي المعاصر عموما والخطاب الروائي الفلسطيني بالخصوص باعتباره موضوع بحثنا.

وما دام الغرض من البحث هو تحليل صورة الآخر وتجلية شكلها والمستويات التي وردت عليها في بعض النصوص الروائية العربية ثم في الرواية الفلسطينية التي شقت لنفسها سبيلا مميزا في طرحها للآخر كنمط فكري يقابل الأنا وفيه يجد الدارس نماذج ثرية تعددت فيه

مستويات وعي الأنا بالآخر ومن خلال بحثنا في جوانب الرواية والخطاب الروائي وجدنا أنفسنا إمام إشكالية قوية تستوقفنا وتطرح علينا جملة من التساؤلات:

- مإذا نقصد بالأنا والآخر؟
- ما علاقة الأنا بالآخر؟
- وهل علاقة الأنا بالآخر يعتريها الحوار أو الصدام؟

ويأتي بحثي حول تجليات الأنا والآخر في الخطاب الروائي مستقيا من الدراسات السابقة محأولا ضبط صور الآخر وما يتولد لدى القارئ من خلال تلقيه لمضمون الحكي وكذا العلاقة التي تنسج داخل متن النص المقروء أهمها نذكر:

- نبيل سليمان (وعي الذات العالم)
- محمد راتب الحلاق (نحن والآخر)
- مجموعة من المؤلفين (صورة الآخر العربي ناظر ومنظور إليه)

وما حفزني في تنأول الموضوع في شأن العلاقة بين القطبين –الأنا والآخر– هو قلة الدراسة في رواية –الصبار– لسحر خليفة ومنطقي أن تكون المصادر والمراجع المستعملة ملمة ومحيطة بالموضوع كله ولا المدونة المعتمد عليها مغطية لكل تفاصيل الخطاب الروائي المتصل بظاهرة العلاقة الجدلية المذكورة، وبناء على خطة فرضتها طبيعة البحث ومضمونه، فقد ورد على النحو التالي:

الفصل الأول حمل عنوان: تجليات الأنا والآخر في النص الروائي

يندرج تحته عدة مباحث نذكرها كالآتي:

الأنا والآخر بين أزمات التسيس وانسلاب الهوية.

الأنا والآخر من مرحلة الصراع إلى المصالحة.

الرواية الإستعمارية في الأنا المستوعبة والأنا الفاعل.

الرواية المعاصرة في الأنا الفاعلة والآخر المستوعبة.

إما الفصل الثاني (التطبيقي) والمعنون بـ: جدلية الأنا والآخر في رواية ربيع حار

قسّم إلى عدة مباحث وهي:

صورة الأنا والآخر في رواية ربيع حار لسحر خليفة.

أبعاد الأنا والآخر في المنجز الروائي

تجليات الأنا والآخر في المنجز الروائي

ولا يخلو أي بحث من الصعوبات ولعل أهمها: تشعب الموضوع واتساعه وبالتالي صعوبة السيطرة عليه، وكذا كثرة المصادر والمراجع التي تطرقت لموضوع علاقة الأنا والآخر مما جعل الباحث في حيرة من أمره.

إن الغاية من هذه الدراسة ليست الحصر في موضوع الأنا والآخر بقدر ما هي محأولة للاطلاع على أكبر عدد من الآراء التي أثرت الموضوع وفي الأخير ما يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل لكل من قدم لنا يد العون وعلى رأسهم الأستاذ المشرف **سليني نور الدين** والذي كان نعم الموجه من خلال ما استغرق في رحلة البحث، والشكر موصول أيضا لأعضاء لجنة المناقشة على تكرمهم بقراءة المذكرة وإفادتنا بتوجيهاتهم السديدة.

الفصل الأول

تجليات الأنا والآخر في النص الروائي

الأنا والآخر:

مفهوم الأنا والآخر في الفلسفة:

مفهوم الأنا والآخر في علم النفس:

مفهوم الأنا والآخر في علم الاجتماع:

ملخص المفاهيم المعجمية:

الأنا والآخر بين أزمات التسييس وانسلاب الهوية

الأنا والآخر من مرحلة الصراع إلى المصلحة

الرواية الإستعمارية في الأنا المستوعبة والأنا الفاعل

الرواية المعاصرة في الأنا الفاعلة والآخر المستوعب

-مفاهيم معجمية (الأنا. الآخر):

***الأنا والآخر:**

المفهوم اللغوي: تعددت مفاهيم الأنا والآخر بتعدد موضوعات الدراسة، الا انها تحتل الطابع الفلسفي المعرفي حيث ورد في لسان العرب ان كلمة "انا" "اسم مكفي وهو للمتكلم وحده، وانما يبنى على الفتح فرقا بينه وبين ان التي هي حرف ناصب للفعل إما الالف الاخيرة، انما هي لبيان الحركة في الوقف"[1].

كما جاء في منجد اللغة والأدب والعلوم ان "انا" "ضمير رفع منفصل للمتكلم، والأنانة قولك: انا"[2].

وفي معجم مصطلحات علم النفس "الأنا" " يتمثل في بنية الجهاز النفسي مجموعة من الدوافع والافعال التي تهدف إلى تكييف جسم الانسان مع الواقع ومراقبة وصول الحوافز إلى الشعور والحركة"[3].

أما الآخر، فقد ورد في لسان العرب في مادة "اخر" *قوله* ابن منظور" والآخر بالفتح: أحد الشيئين وهو اسم على افعل والانثى أخرى، الا انه فيه معنى الصفة لان افعل من كذا لا يكون الا في الصفة، والآخر بمعنى غير كقوله: رجل آخر وثوب آخر.

[1] عبد القادر شرشال: كتابة الآخر في الرواية المعاصرة، مجلة الخلد ونية، العدد التجريبي، نشر ابن خلدون، تلمسان، 2005م، ص147.

[2] لويس معلوف: المنجد في اللغة والعلوم، مادة (انا)، دار المشرق والمكتبة الشرقية، لبنان، ط1، 1993، ص19.

[3] عبد المجيد سالمي، نور الدين خالد، معجم المصطلحات علم النفس، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، (د.ت)، (د.ط)، ص37

وقوله تعإلى: {فاخران يقومان مقامهما} فسره ثعلب فقال: فمسلمان يقومان مقام النصرانيين وفسره القراء: معناه أو اخران من غير دينكم من النصارى واليهود[1].

***مفهوم الأنا والآخر اصطلاحا:**

لتعريف هذين المصطلحين لابد من التطرق لمفهومها في مختلف العلوم الإنسانية مثل الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس.

أ_ مفهوم الأنا والآخر في الفلسفة: لقد اهتم كثير من علماء النفس والفلاسفة بدراسة الانسان وشخصيته، والقضايا المتصلة بالذات، كمفهوم الذات ومفهوم الآخر وبالرجوع إلى الفلسفة اليونانية نجد " ان الذات الإنسانية بما فيها من غموض وتنوع قد شغلت عددا من المفكرين والفلاسفة واليونان"[2]، ولم يكن الفلاسفة العرب بعيدين عن هذا الاهتمام وذلك " لطبيعة الثقافة العربية الاسلامية التي ما انفكت تبحث عن الأنا وتتعرف عليها وعلى طبيعتها من خلال وجودها وادراكها المستمر لكونها حلقة تطور الذات الإنسانية بوجه عام، بالإضافة إلى رؤاها حول طبيعة النفس كمفهوم مقابل الأنا في الاصطلاح الفلسفي ومن هنا اصبح مصطلح النفس الاكثر شيوعا واتساعا واستخدإما من مصطلح الأنا في الفلسفة العربية"[3]،

إما في العصر الحديث ارتبط الأنا بمفهوم الماهية والوجود بالطابع الفلسفي المعرفي وهي " الخصائص الذاتية لموضوع معين وتقابل الوجود، ومنه التعبير الشائع: الوجود والماهية"[4].

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، ج4، دار صابر، بيروت، ص12-13، مادة (اخر)

[2] ينظر: ميشيل فوكو: الاهتمام بالذات، ترجمة جورج ابو صالح، مركز الانماء العربي، لبنان، ط1، 1992م، ص32.33

[3] ينظر: عباس يوسف الحداد: الأنا في الشعر الصوفي (ابن الفارض نموذجا)، دار الحوار، سوريا، ط1، 2005م، ص199

[4] مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، مصر، د.ط، 1983م، ص47.

ولقد تبلور مفهوم الأنا والآخر بشكل كبير عند الوجوديين، حيث كان للفلسفة الوجودية نصيب وافر في مناقشة هذا المصطلح انطلاقا من قناعتها بان معرفة الذات تتوقف على وجود الوعي، وبان السؤال عن الأنا هو سؤال عن الوجود، ويترتب عن ذلك القول بان الوجود هو أولا وجودي انا، انا الذات المفردة"[1]، إما رينيه ديكارت (*) فقد حأول ان يجعل الأنا مجال المعرفة الجوهري فربط بين الأنا فكرا، والأنا وجودا حين أطلق عبارته الشهيرة" انا أفكر اذن انا موجود" ورأى في إطارها ان الأنا يخص جوهر المفكر، ويختص بفكر الانسان وتفكيره.

أما الفيلسوف يوهان غوتليب (**) فيخته فلا ينظر للانا كحالة فردية ولكن يراه انا انسانيا تشمل الجنس البشري كله، اذ لا يمكن لها الانعزال عن العالم طالما كان العالم هو الموقع الذي تضع به ذاتها، هذا وقد ضمها إلى فلسفة العلم فالأنا وفق "فيخته" هي الأنا الخالصة الحقيقية المفعول بها للعلم، والتي لا تكون فاعلة للمعرفة بل تكون مفعوله بها للمعرفة، حيث" لا معرفة فوق امكانية العقل أو خارجها معرفيا ووجوديا، واصبحت الأنا المطلقة عنده هي مركز النظرية للعلم"[2]

لقد عرف اذن موضوع الأنا في الفلسفة العديد من الآراء والمقولات، وكل هذه المقولات عكست مفهوم الأنا من منظور معرفي واخر وجودي.

ب-مفهوم الأنا والآخر في علم النفس:

اهتم علماء النفس الإنسانية وحالاتها السلوكية، وعدت الذات محور تلك الدراسات في علاقاتنا بذاتنا، وعلاقتنا بالآخرين، فانكب هؤلاء العلماء على دراسة الأنا بكل تجلياته.

[1] عبد الرحمان بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية، للدراسات والنقد، ط1، 1980، ص23

[2] ينظر: عباس يوسف الحداد: الأنا في الشعر الصوفي (ابن الفارض انموذجا)، دار الحوار المعرفي، لبنان، د.ط، ص192

وللحديث عن الأنا لا يمكن اغفال الدور الذي اداه الفيلسوف سيغموند فرويد (*) في هذا الخصوص حيث قسم الجهاز النفسي إلى ثلاثة اقسام هي: **(الأنا، الهو، الأنا الاعلى)**.

ف" الهو هو مستودع الشهوات والحوافز الغريزية التي لا يستطيع الفرد البوح بها لأنها تشعره بالدونية، والهو في حالة عدم اشباعه يشعر الفرد بالتوتر وفي هذا البعد يكون هدف الحياة هو الانغماس الذاتي"[1].

أما الأنا فهو الذي يشرف على" مركز الشعور والادراك والحلم والبصيرة، فهو انا وانت وكيف تتعامل مع الآخرين، وبالصورة التي احافظ وتحافظ على احترامك واحترامي وقبولي وقبولك لديهم، والأنا هي الافعال الارادية التي نمارسها ونحن واعين ومدركين لطبيعة سلوكنا ونشاطنا، فهي التي تشرف على الجهاز الحركي"[2].

ليأتي في الأخير ما يسمى بالأنا على الذي يقوم بدور الرقيب لكل تصرفاتنا وأعمالنا فهو "جملة من القيم والمعتقدات والمبادئ الخلقية التي يستخدمها الفرد في الحكم على سلوكه ودوافعه، وهو ما يعرف عادة بالضمير"[3].

لكن وجودهما هذا هو وجود ليس في عالم إياها، فهي " وجود في_ أي أن صفاتها الجوهرية انها محاطة أو في حالة تعيين مع الغير، فليس ثمة ذات مفردة معطاة وحدها، بل كل ذات تفترض بطبعها الغير الذي تساكنه وتوجد معه"[4].

---

[1] بشرى كاظم الحوشان الشمري: علم نفس الشخصية، عمان، دار الفرقان للنشر والتوزيع، 2007م، د.ط، ص37-38

[2] المرجع نفسه، ص38-39

[3] المرجع نفسه، ص40

[4] عبد الرحمان بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1980م، ص23-24

هنا يمكن القول بأن الآخر يأتي بمعنى " صفة كل ما هو غير أنا، وفكرة الآخر بمعنى غير الأنا مقولة ابستيمولويجية ملخصها الاقرار بوجود خارج الذات العارفة أي كينونات موضوعية"[1].

أما الآخر عند مارتن هايدغر (*) فهو مرتبط بالسقوط، وهذا الآخر قد رمي به في هذا العالم فسقط فيه" فلا نملك إلا التسليم به، وهذا السقوط لا ينطوي على معنى، معنى من معاني الذم بل هو أمر إيجابي اذ بغيره ما كان يمكن وجودي ان ينكشف لنفسه"[2].

وما يعنيه هايدغر بالسقوط هو تواجده في هذا العالم مع اخر الذي ادى إلى تدقيق كينونته ومعرفتها التي لا تتم بمعزل عن معرفة الآخر.

ومنه نستنتج أن إدراك المرء لذاته لا يحصل دون الوعي والغير في نفس الوقت لأن الإنسان في تعامله مع الآخرين من أفراد مجتمعه يتصرف بوعي، ويوفق بين ما يقوله الآخرين عنه وما يعتقده في نفسه وبالتالي فوجود الأنا متعلق بوجود الآخر.

ج-مفهوم الأنا والآخر في علم الاجتماع:

يدرس علم الإجتماع الآن من خلال علاقته بمحيطه، إذن من خلال علاقاته بالآخر، ولذا فتعريف الأنا هو "فرد واع لهويته مستمرة ولارتباطه بالمحيط"[3] بمعنى المحيط يؤثر في الانسان ويتأثر به فينقل كل معاناته وتعابيره، فالأنا والآخر تتمظهر علاقتهما على الصعيد الإجتماعي في عدة ثنائيات كالخير والشر، والحب والكره، والحرب والسلم، الهيمنة والخضوع، المرأة والرجل ..... الخ.

[1] عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، ج1، المؤسسة العربية، مصر، 1984م، ص13.

[2] عبد الرحمان بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، ص90.

[3] ميخائيل ابراهيم اسعد: شخصيتي كيف اعرفها؟ دار الافاق الجديدة، لبنان، ط3، 2003م، ص70.

غير أنه لا يستطيع الأنا في سلسلة علاقاته مع الآخر أن يتموقع مع أي جماعة كيفما كانت، لكن هناك شروط لإقامة أي تجمع مع الآخرين حيث لا يمكن إقامة هذا التجمع لا " بمن يرتبط معهم بأهداف ومصالح ومعتقدات ومفاهيم مشتركة في جماعة واحدة توفر له عضويتها اشباع تلك الحاجة الاجتماعية حيث تتضح هذه الحاجة في الرغبة في الحياة مع هذه الجماعة والتوافق معها وتقبل معاييرها وقيمها وانماطها السلوكية"[1].

وبذلك فالأنا لا يحقق ذاته إلا من خلال تواجد الآخر، والإنسجام معه من خلال نسيج تلك العلاقات معه، وبها يتحقق التكامل الاجتماعي وسوف نتحدث عن مفهوم النحن وبالتالي فإذا" استطعنا ان نتصور الأنا قوة من بين هذه القوى التي توجد في مجال سلوكنا فيمكن تصور النحن قوة من بين القوى، تضم الأنا بحيث يصبح جزءا من الكل ولا يقوم كقوة مستقلة"[2].

وعليه فعلاقة الأنا بالآخر في علم الاجتماع هي علاقة وطيدة، علاقة تكافئ وتلازم وترابطهما بهذا الشكل حتمي وضروري والا فلا معنى لهذا العلم، ذلك ان الأنا والآخر من بين أهم أسسه.

***ملخص المفاهيم المعجمية:**

ومن خلال ما تطرقنا إليه من خلال المفاهيم المعجمية يتضح ان مفهوم الأنا والآخر مفهوم متشعب ولا يمكن الالمام به إلا أننا حأولنا حصره في بعض العلوم: علم النفس، وعلم الإجتماع، والفلسفة، والتي لم تختلف إلا نسبيا في تعريفاتها.

كما اتفقت على أن جدلية الأنا والآخر ثنائية ضدية يستدعي حضور الأول الأنا/ الآخر.

[1] مريم سليمان: علم النفس التعلم، دار النهضة العربية، لبنان، طَ1، 2003م، ص470

[2] مصطفى سويف: الاسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، دار المعارف، مصر، د.ط، 1959م، ص139.

فعلاقة القطبين (الأنا والآخر) فرضت حضورها في الأدب والذي لا يزال يلعب دورا جليا ولافتا في رسم صورة وملامح الآخر في العصر الحديث.

1_ الأنا والآخر بين أزمات التسييس وانسلاب الهوية:

تثير مسألة الذات الأنا والآخر اشكالية سردية ترتبط باختلاف وجهات النظر أو الزأوية التي ينطلق منها الروائي في إبرازها بصورة قد تكون معقدة أو شائكة نوعا ما، وربما تظهر الذات بصورة اكثر وضوح فيما لو اقترنت بالآخر ولا سيما إذا كان هذا الآخر هو العدو بحد ذاته، حيث يضع الأنا في موقع تصادمي وصراعي على الدوام وهو ما يؤثث اشكالية العلاقة[1]، وتكمن هذه المشكلة في طبيعة اللبس الذي تنطوي عليه مثل هذه المفاهيم تداخل العنأوين الحاكمة على طبيعة الآخر الثقافي والفكري معه، ومن ثم فيما لم يجر توضيح هذه المفاهيم العامة فمن الصعب التوصل إلى علاقة واضحة وبنية الآخر، لان العلاقة بينهما تحكمها أسس ثقافية وفكرية وفلسفية وسيكولوجية وإيديولوجية تنهض بطبيعة هذه العلاقة وكيفيتها على عديد المستويات.

إذ يتمثل" التعبير عن هذه الإشكالية في الإنتاج الفكري والأدبي عن طريق المقابلة بين صورة الذات أو الأنا أو النحن العربية وصورة الآخر الحضاري الغربي مع فروق في الطرح تحددها مواقف ورؤى المفكرين والأدباء وقد تعاملت الرواية العربية منذ تجاربها المبكرة مرورا بكل التحولات والثورات التي مرت بها وحتى الآن، مع هذه الإشكالية التي صارت قيمة محورية في الخطاب الروائي العربي"[2] .

[1] محمد صابر عبيد: جماليات التشكيل الروائي، دار الحوار للطباعة والنشر، سوريا، د.ط، د.ت، ص81

[2] مجموعة من المؤلفين: صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا اليه، تحرير: الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1999، ص811

إن الالتقاء بين الأنا والآخر داخل إطار هذا المفهوم هي التي تشكل المادة الاساسية لمشروع السرد الروائي وهو ما يقيم نوعا وطرازا من العلاقة الثنائية الجدلية بين (أنا النص/ والآخر)، منتجا جملة من الإحالات اللغوية والنفسية والفكرية التي غالبا ما تكون في خصوصية المعنى تعبر عن أنا وآخر في الوقت نفسه.

إن النقطة الاساسية التي يجب التأكد عليها في هذا المضمار هو تموضع الذات (الأنا) والآخر في مكان واحد وفضاء علمي واحد فلا يمكن الحكم على الآخر بأنه الآخر مالم يكن هناك صلة تربط الإثنين ببعضهما البعض يتحركان في فضاء مكاني وزماني واحد، ففي إطار هذا المفهوم تتكون" فكرة الآخرية من حجم الصراع بين الإنسان والإنسان وكل صراع بين الإنسان وإنسان يبتدئ من تموضع كلا الطرفين في حيزي الآخرية، فلا يمكن أن يحدث بينهما صراع مالم يكن كل منهما آخر بالنسبة للآخر على المستويين الفردي والجمعي بطبيعة الحال، والآخر هو الكلية المزدوجة للكينونة، الذاتية وتقويضها في الأنا نفسه"[1].

فالصراع بين الطرفين يبدا عندما يحس عامل الأنا (الذات) بأن رغبة الآخر تشتغل اشتغالا مسيسا في بناء محأولة جادة للاستحواذ على الفضاء الخاص به وتحديده وتهميشه واقصائه وممارسة اكراهات معينة على رصيده الانوي المستقل، "ويتم تبادل هذا الصراع وتشبعه كلما تشبعت اصناف هذا الآخر وتعددت في مكان واحد ولاسيما الآخر العدو الذي يحول الصراع من صراع فكري وثقافي وحضاري إلى صراعي دموي احيانا يهدف إلى تصفية الآخر جسديا ومحوه من الوجود الانساني، واستلاب حقوقه كاملة واستغلالها وجعلها جزءا لا يتجزأ من حقوقه حتى وإن سخر التاريخ وزيفه لإثبات هذا الحلم الدمري الإستعماري"[2].

[1] صلاح صالح: سرد الآخر (الأنا والآخر عبر اللغة السردية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2003م، ص08

[2] محمد صابر عبيد: جماليات التشكيل الروائي، دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، د.ط، د.ت، ص83

يقول نبيل سليمان في وصف هذه الاشكالية وإيضاح مستوى تعقيدها " هل يحق لنا بعد أن نتساءل بسذاجة ببساطة بغباء بتوق صادق للمعرفة من هو المعني بهذا الكلام؟ من هي الذات ومن هو الآخر الوهم أو الحقيقة أو الصناعة؟ هل هو حقا النحن والغير بعامة وفي كل زمان ومكان؟ وهل هو العرب والغرب (الأوروبي/ الامريكي)؟ هل هو العرب وإسرائيل؟ هذه هي السئلة تحدد للآخر وللذات فضاء"[1].

إذن فنقطة الانطلاق هذا المفهوم بدأت مع سريان التيار الإستعماري في جسد الامة العربية ولإمكانية عقد مقارنة بين المفهومين فلا يمكن للآخر / العدو، المستعمر الاحساس بالتميز مالم يكن هناك اخر متميز عليه يتفوق على خصائصه وامكاناته على النحو الذي يحوله بوساطة اعلان الفروق بينهما إلى هامش وتابع له عبر طرح الة تفوقه وتشغيل فاعلية تميزه.

وهنا تغدو الأنا في علاقتها بالآخر المحور في توجيه الصراع الدائر ووضعه على طأولة المفأوضات الثنائية التي لا تجد مفرا من الوضوح لهذه الثنائية وبالتالي التماهي بين الاثنين وان كانت النتيجة تحسم دوما في صالح الجانب الآخر بوضعه الحلقة المسيطرة في عمليات الصراع وديناميته. وهذه العلاقة هي " الاساسية في انتاج صور الذات، وصور الآخر، قد صارت موضوعا للمعرفة العلمية، سواء اكانت العلاقة بين جماعات أو طبقات أو شعوب اذ من دون معرفة الآخر علميا يظل التعامل معه في ظل الصورة التي تراها أو نريدها ان تكون، حتى ولو كانت هذه الصورة غير مطابقة للواقع"[2].

[1] نبيل سليمان: الثقافة بين الظلام والسلام، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط1، 1996م، ص22/21.

[2] مجموعة من المؤلفين: صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا اليه، تر: الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1999.

2_ الأنا والآخر من مرحلة الصراع إلى مرحلة المصالحة:

الاشكالية هنا تصب في ثنائيتي الشرق والغرب/ الأنا والآخر، أي الأنا تمثل الشرق في خلاف الآخر الدال على الغرب، وهذا ما نلاحظه من خلال هذا المفهوم اذ اتسعت دائرتا "الأنا/ الآخر" وغموض دلالتهما فالأنا تعني (بلاد الشرق) أو (الاسلام) أو (العروبة) أو (بلدان العالم الثالث) أو (النامي) أو (المتخلف) ..... الخ.

فهي دوائر متداخلة يصعب الفصل بينهما أو حصرها ضمن مجال محدد، ولا يتم معرفة "انا/ الآخر" من دون احدى الاشكاليات التي تمنح القطبية الحادة لانا ما ولآخر هي ان هذا الذي تطلق عليه "الأنا/ الآخر" مثلها تماما، ولا يوجد في صفة محددة، بل يستحيل تحديده الا بتشويهه واختزاله[1].

فإذا ضبطنا مصطلح "الشرق" فان التاريخ يعود بنا إلى جذوره الأولى اذ كان مدلوله يشمل كل من سوريا ومصر وبلاد الرافدين، واتسع يشمل الجزيرة العربية وفارس وتركيا، ثم امتد في مراحل لاحقة ليشمل الهند والصين واليابان وما اليها من بلدان اسيا" وقد جعل الآخر لدى الغرب يأتي في مقابل الاسلام"[2].

" وهي تسمية ناتجة من خصائص اجتماعية أو بشرية أو اقتصادية بل هي سياسية غربية رأسمالية تستقطب دولا غير عربية وتستبعد دولا عربية"[3]، فارتبط مصطلح الذات بالشرق متمثلة

[1] علاء عبد الهادي: شعرية الهوية (نقص فكرة الامل، الأنا بوصفها انا اخرى)، مجلة عالم الفكر، العدد1، مج36، الكويت، سبتمبر2007م، ص213.

[2]محمد عابد الجابري: الغرب والاسلام، مجلة العربي، ع503، الكويت، اكتوبر، 2000م، ص8-9

[3] محمد راتب الحلاق: نحن والآخر، دراسته في بعض المتدأولة في الفكر العربي الحديث والمعاصر، منشورات اتحاد كتاب العرب، سوريا، د.ط، 1997، ص1.

في المبراطورية الرومانية الشرقية بالذاكرة الأوروبية مثلت في الآخر الغرب، وكانت من منطلق معطيات جغرافية واريد بها غير ذلك وقد يكون السبب في ذلك " ان الذاكرة الأوروبية لا تريد ان تتخلى عن فكرة كون الوطن العربي، سيما شمال افريقيا ومصر والشام، كانت في يوم من الايام جزءا من الأمبراطورية الرومانية الشرقية[1].

وإذا كان إطار الأنا تكتنفه هذه الميوعة، فان الشأن ذاته بالنسبة للآخر "فالغرب نفهم دلالته من السياق، ويمكن ان يتحدد باعتباره البعد السياسي أو الجغرافي أو الاقتصادي ... وهو قد يكون أوروبا أو الدولة المتقدمة عموما، أو الآخر المتخلف دينيا، أو حضاريا، أو كل هذا معا، فالخلط شائع ولم يقع تحديد الحقول الدلالية لهذا المصطلح، وانما وقع التعامل مع الغرب باعتباره مسلمة لا تثير السؤال وهو عادة نقيض للعرب ومقابل له"[2].

وهذا ما أكده الغربيون أنفسهم على لسان أحد دارسيهم بقوله: " لقد اعتدنا نحن الأوروبيون منذ مدة ان نطلق على مجموعة البلاد التي تنتمي اليها اسم الغرب ولم يعد هذا التعبير يعني وضعا جغرافيا خالصا بقدر ما يعني كيانا ثقافيا واجتماعيا وسياسيا وعسكريا"[3].

ان الرواية العربية الحديثة ومنذ نشأتها سعت إلى بلورة فكرة وعي الذات والقومية إلى جانب فكرة وعي العالم أو الآخر.

وعلى الرغم من صعوبة الفصل بين وعي الذات ووعي الآخر فان الدارس يطمئن إلى نتيجة تؤديها كثرة الشواهد الدالة، وهي ان الرواية العربية قطعت شوطا كبيرا في وعي الذات

[1] محمد راتب الحلاق: نحن والآخر، دراسة في بعض المتدأولة في الفكر العربي الحديث المعاصر، منشورات اتحاد كتاب العرب، سوريا، د.ط، 1997م، ص37.

[2] الزهرة بلحاج: الغرب في فكرة هشام شرابي، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2004، ص

[3] محمد راتب الحلاق: مرجع سابق، ص4

ورؤيتها للآخر انجذابا ونفورا لكي تترجم هذا الوعي إلى سلوكيات ومواقف حضارية في الواقع الغربي، "فقد شهد الغرب الآخر اهتمام المؤلف الروائي منذ البدايات الأولى منذ رحلة رفاعة الطهطأوي وعلي مبارك، وحديث عيسى بن هشام لمحمد مويلحي إلى عشرات الروايات التي كتبت بعدها تقصيا لوعي الآخر في وعي الذات"[1]، فهاجس الآخر سكن المتن الروائي العربي نتيجة الاتصال الشخصي المباشر بالآخر، ويمكن تقسيم مسار وعي الذات ورؤية الآخر في الرواية العربية إلى ثلاثة اجيال:

1-مرحلة ما قبل هزيمة 1967: لقد بدا الروائي العربي منذ بداية هذا المسار الجديد حتى قبيل هزيمة 1967م متمحورا حول الذات (القومية) ومن توفيق الحكيم حتى يحي حقي .....

بدا الكاتب ينظر إلى الآخر من خلال ذاته فيراه حسنا خيرا مطلقا، شرا مطلقا، وهذا ما سنعرفه من خلال بعض افكار توفيق الحكيم لاسيما ان بعض النقاد أو معظمهم يعتبرون رواية (عصفور من الشرق)[*] أول رواية عربية تطرقت إلى الآخر محأولة تسليط الضوء على هذا الآخر المختلف عنا فكريا وعقائديا وحضاريا ... وهي اشهر الروايات المصرية التي كان موضوع الآخر(الغرب) مركزا لها، تدور أحداثها في باريس وتحكي قصة حب فاشلة بين مثقف اعرابي طالب للعلوم الطبية هناك، وفتاة فرنسية وكانت نهايتها الفشل الذي يعود إلى اختلاف عقلين وحضارتين.

وتجدر الاشارة إلى ان فكرة (التمركز حول الذات) و(رفض الآخر) جملة وتفصيلا قد سيطرت ايضا على الفكر العربي لردح من الزمن، خلال الفترة المعروفة بالمركزية الأوروبية

[1] عبد الله ابو هيف: ازمة الذات في الرواية العربية، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يوليه، ديسمبر 1994، ص256

[*] توفيق الحكيم: عصفور من الشرق، دار الاعمال الكاملة، الشروق، القاهرة، د.ط، 2004.

غير ان هناك من الكتاب المصريين من تبنى نظرة أخرى مغايرة للاتجاه الأول، الا انها تظل مقيدة ونسبية مقارنة بتلك النظرة التي سادت الرواية العربية "التمركز" ورفض الآخر، فإذا كان طه حسين دعا إلى موقف هو اشبه بالذوبان في الغرب انطلاقا من الافكار التي وضعها في كتابه: مستقبل الثقافة في مصر سنة 1937م مع العلم ان طه حسين يمثل الاتجاه العلماني وإذا كان توفيق الحكيم قد دعا إلى رفض الغرب قلبا وقالبا في رواياته: عصفور من الشرق سنة 1938م مع العلم ان الحكيم قد مثل الاتجاه الغربي بشكل أو باخر على الرغم من انه لم يقل هذا صراحة.

2-مرحلة بعد هزيمة 1967: بعد مفصل هزيمة 1967م نرى جديد الروائي العربي في التعبير من استيعاب الذات والعالم خلال السبعينات، وفي شطر الثمانينات الأول، هكذا نرى روايات غسان الكنفاني، سميح القاسم، ايميل جبيبي، سحر خليفة، تعايش هزيمة 1967م وسواها في مركز النحن (فلسطين والضفة الغربية) وفي حضرة الآخر الذي هو هذه المرة الغزو الاستيطاني الصهيوني المتلبس بالحضارة، إما رواية محمد عيد (المتميز)[1] فقد حملت هزيمة ايلول 1970م إلى مركز الآخر، إما الرواية المغاربية ومن خلال رواية المغاربي محمد زفزاف (المرأة والوردة) التي نشرت عام 1972م فهي تطرح قضية الذات في مواجهة الغرب "الآخر" ان هذه الرواية تصور بطلها- الذي ذهب إلى مركز الآخر "اسبانيا"_ بانه جنس متميز عن الآخر رغم محأولة هذا الاخير ان يبهره بمظاهر التحضير والتمدن.

3-مرحلة الثمانينات ومطلع التسعينات: لعل اهم رواية جسدت عملية التفتح عند الآخر هي رواية "حنا مينة" الصادرة عن دار الآداب- بيروت عام 1984م والتي حملت عنوان: "الربيع والخريف" ان هذه الرواية تمثل نص اخر يعبر عن اشكالية وعي الآخر في شطرها المتصل

[1] نبيل سليمان: وعي الذات والعالم، ص141

بالغرب الاشتراكي بحيث يذهب بنا المؤلف إلى موطن اخر، ان الجديد الذي قدمته هذه الرواية على غرار الكثير من روايات بمرحلة الثمانينات والتي كانت تتمحور في أغلبها حول استيعاب وفهم الآخر من خلال الصراعات الإيديولوجية والفكرية، ان تجربة "الربيع والخريف" في وعي الذات ورؤيتها للآخر، فالذات متمركزة في الفرد وابعادها الأخرى مهمشة، وهذا ما يبرز قلق وضياع هذه الذات إما الآخر فهو الايجابي على الدوام وهي بذلك تفارق روايات السبعينات، وباختصار فان هذه الذات تحأول ان تفرض وجودها من خلال مقأومة الآخر (قوى الاحتلال)[1].

لقد اختلفت نظرة الأدباء للآخر من جيل إلى جيل بفعل فارق الزمن ومستجدات الأحداث، فاللقاء في الجيل الأول والثاني بين المثقف العربي والآخر(الغربي) سمته الاندهاش الرومانسي والشعور بالدونية.

ويبقى المتن الروائي عبر الاجيال يبحث عن الذات عبر الآخر ويعرف هذا البحث درجات متباينة وملامح مختلفة، بدأت من خط افقي ما لبث ان تصاعد معه في زوايا متواصلة لتحديد ملامح هذه الهوية وقد بدا هذا الخط بتوفيق الحكيم كأحد أبناء الجيل الأول من الروائيين وتوالت التغييرات عبر روائيين كثيرين لعل اهمهم كعلإمات فارقة كلا من: سهيل ادريس و عبد الله العروي، وهذه العلإمات بدأت بمرحلة لتصل إلى مرحلة أخرى من الانتصارات للغرب بوصفه وجها حضاريا في محأولة للتوفيق والاستفادة من منجزاته المادية التقنية إلى الوقوف في وجهه الإستعماري القبيح،

[1] مصطفى عبد الغاني: قضايا الرواية العربية، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1999م، ص77.

3_ الرواية الإستعمارية في الأنا المستوعبة والأنا الفاعل:

ان الدارس للرواية الجزائرية يجد انها تأخرت عن الركب لأسباب معروفة، تتمثل في همجية الاستعمار الفرنسي الذي عمل جاهدا على طمس ومحو اهم عنصر يمثل هوية هذه الشعوب، والمتمثل في الهمجية الشرسة على اللغة العربية، يقول جون عمروش تعبيرا عن قضية اللغة: " عندما تكون في وضعية المستعمر، فإنك مجبر على استعمال هذه اللغة التي أعيرت لك ... ولذلك فهم يذكرونك بأنهم حين منو عليك وعلموك الفرنسية".

ان الكتابة الروائية في العشرينات من القرن الماضي بقدر ما كانت ظاهرة حضارية، وبعبارة احمد منور" الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية الذي سبق سنة 1950م كان في معظمه يسير في ركاب الاستعمار ويعبر عن اطروحات تتفق أو تتطابق مع اطروحات الاستعمار السياسية والفكرية.

ولعلها الأسباب نفسها التي قام عليها الفكر الغربي في اقصائه للآخر نتيجة تبنيه فكرة مفادها ان كل ماعدا الغرب عبيد، وتعود بداية هذه الصورة التي رسمها الآخر إلى العصر اليوناني، حيث قسم "ارسطو" إلى اغريق وبرابرة أو بعبارة أخرى إلى "احرار بالطبيعة وعبيد بالطبيعة" هذا التصنيف الذي يحرر الذات بينما يجعل من الآخر عبد بالفطرة ادى إلى الحط من قيمة الآخر واشعاره بالدونية دون التفريق بين جنس واخر وقد تجلت هذه الحملة الفكرية في الحاق النشوية بالقران الكريم، بالإضافة إلى العداء الذي تغذت به المخيلة الأوروبية، والذي ساهم في تأصيل رؤية غربية عدائية للإسلام والمسلمين ولا تزال هذه الرؤية قائمة إلى الوقت الحاضر.

وهذا ما نلمحه في رواية "نجمة" ل: كاتب ياسين، انها صورة الرفض القاطع الذي يؤكده الكاتب ليعمم الموقف " فإذا صدق هذا الموقف بالنسبة للتجربة الفردية فانه يصدق بالمثل بالنسبة للتجربة الجماعية وهو حين يرفض الاضطهاد الواقع بكل المضطهدين، وهو حين يطلب لنفسه حق الاحترام فانه يطلبه في الوقت نفسه لأمثاله ومن ثمة كان موقف الرفض المتمرد وجهه الجماعي دائما لأنه رفض الواقع المشترك والتمرد عليه"[1].

وعليه ان الذات طول أحداث الرواية –نجمة– كانت تسعى إلى استيعاب وبلورة وعيها بتحقيق خصوصيتها عن طريق الرفض والتمرد والثورة.

ان البحث عن الذات واكتشافها والتعرف عليها لا يتم بمعزل عن الآخر (الاستعمار، المعمرين)، الذي يفعل تجربتها ويجعلها تنمو باستمرار، لقد برزت الذات بصورة الضعف والخضوع والانهزامية لكن هذا لم يمنعها من بلورة وعيها واثبات ذاتها ازاء هذا الآخر المستغل والمخيف.

لقد كان وعي الشخصيات بذاتها وعيا شقيا يونس بين الآخر الحضاري والآخر الإستعماري بين الانبهار والاكفهرار، بين الحب والكراهية.

لذلك لم يستطع الاقبال على الآخر ووجد هذا الوعي صعوبة في التحويل والتحول وراح يتأرجح بين التوفيق والتلفيق.

ان "نجمة" ليست امرأة بقدر ماهي تمثل الوطن الام الذي حاول الكاتب تجسيده مشخصا اياه في امرأة وتصبح الجزائر حقيقة مجسدة وتكون نجمة بمثابة روح البلاد التي تسري.

[1] عز الدين اسماعيل: الشعر العربي المعاصر وقضاياه وظواهره الفنية، دار العودة، لبنان، ط3، 1981م، ص412/411

ان رواية نجمة هي تجسيم بالحجم الطبيعي لرحلة العذاب التي خاضها كاتبها ووطنه جميعا، كما وصفها" كاتب ياسين" في بعض شريحاته " لم تكن كتابة نجمة سهلة ابدا، ارقتني طويلا، قبل ان تصبح اثرا ناجزا كنت إمام اختيار صعب كيف اضع الجزائر في كتاب، الجزائر القوية والحية، الثورة الحالمة، الجزائر وسفك دماء شبابها، كان على ان اقنع الفرنسيين بان الجزائر جزائر نجمة ليست كما يتوهمون".

حيث ان هذه الروح هي الثورة والثورة هي التجربة التي امتصت زمانها الخاص على نحو شديد التعقيد من الماضي والحاضر والمستقبل، فهي رمزا للوطن المعذب فقد حأول الكاتب عبر أحداث الرواية ان يؤكد صورة انتمائية الذات للوطن في ابعادها التاريخية والحضارية وحتى الجغرافية والمنطلق في ذلك هو حب الوطن والتعلق به وما ينتج عن ذلك الشعور هو الانفة الوطنية التي تبدأ بالتشكل حين يشعر بتعلق عاطفي، وارتباط قلبي بالمحل الذي ولد ونشا وترعرع فيه.

4_ الرواية المعاصرة في الأنا الفاعلة والآخر المستوعب:

ان صورة الآخر تظهر مرتبطة بالأنا (الذات) ضمن فعالية جدلية لا تقبل الخطأ فهو " يدخل في علاقة مع الأنان استأثرت بأهم الصور الروائية المشكلة لسجل فني يمثل العلاقات المحمومة أو المتوترة التي تبحث عن الالتحام والتوافق أو تصور الخراب الداخلي لهذه الشخصيات" اذن تظهر صورة الآخر بصورة المتفوق والمهيمن والمركزي والمتسلط والصانع للحضارة دوما، وتظهر الذات دوما مهزومة، مضطربة، ضعيفة.

تنطلق دراستنا للخلفية التاريخية لمعرفة الآخر للانا، فلقد اقام الأوروبيون منذ القدم علاقة تعارضية بين الشرق والغرب، وضم..... نزعة مركزية أوروبية تمجد الغرب وتحط من شان

الشرق، وقد تجلت هذه النزعة بالوان متباينة ومختلفة جغرافية وثقافية وعرقية ودينية، كان فوريه forrrier مساعد لنابليون في الحملة الشهيرة على مصر، يشير إلى ان انشاء "معهد مصر" هدفه " انقاذ مصر من بربريتها واعادتها إلى عظمتها الكلاسيكية ... وتلقين الشرق طرائق الغرب الحديث" [1]، وقد وصفت الشعوب في العالم اللاغربي بانها ناقصة في قدراتها الحضارية، واعتبرت أوضاعها الراكدة عاملا معرقلا للتقدم البشري فأخذت تهيا الأرضية لتنطلق منها للاستعمار فاعتبرت مسؤولة للقيام بدور حضاري لإنقاذ الأنا العربي المتخلف والفكرة الإستعمارية ذاتها تبناها العديد من الغربيين من امثال رينيه منييه وخلال فترة الخمسينات عرف العالم أحداثا هائلة غيرت الكثير من الأوضاع فقد تحررت بلدانا كانت قابعة تحت سطوة المستعمرين لحقب طويلة، وخلال هذه الفترة برزت كوكبة من كبار الاقلام الروائية الذين كتبوا باللغة الفرنسية روايات ومسرحيات كانت الوقود الذي ايقظ الوعي الشعبي، فقد حررت فيه الرغبة في التحرر واسترجاع الحرية وتمجيد الاسلام الذي حأول الآخر بكل حيله تقزيم دوره وحصره في العبادات التعبدية على مستوى الزوايا بالخصوص.

وكل هذه الاعمال نشرت في فرنسا لأنها في حقيقة الامر كانت موجهة للقارئ الآخر ولمن يقرا بلغته، الا ان الأنا العربي لم يعد يقنع بهذا المكتوب بلغة فولتير بل تحدوه الرغبة في رؤية ادب بلغة الضاد فاتجه فريق منهم –الكتاب– إلى نشر قصصهم ورواياتهم في الصحف تشيد معظمها ببطولة للمجاهدين وصمود المواطنين وكشف جرائم المحتلين.

[1] عبد الوهاب بوحديبة: دراسة عنوانها " الحياة الاجتماعية الإسلامية كما صورها بعض الشرقيين". وقد نشرت ضمن: مناهج المشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ج2، تونس، 1985، ص141.

ان الرواية الآخرية في الرواية العربية لم تسع إلى تأنيث الآخر ثم الإنتقام منه على شاكلة ما فعلته الرواية العربية المشرقية، بل اشتغلت بتقفي سلوكه السلبي تجاه السكان أيام الاحتلال وخلال الثورة المسلحة، فقد رسمت للآخر في النص الروائي صورتين ذات ملحميين مختلفين:

أ-ملمح التعارض الحاصل بين الذات والآخر- الآخر هنا عدو الذات- باعتباره المستعمر المدمر والذي تتفق حول تجريمه كل الأعراف والمواثيق وتقر انه شر وجب ادانته بكل السبل الممكنة.

ب-ملمح ضرورة الاصغاء للآخر والحوار معه، من باب انه ليس شر كله بل يمكن الاستفادة من إيجابياته.

الفصل الثاني

جدلية الأنا و الآخر في رواية ربيع حار

1/-معمارية النص الروائي "الملخص".

2/-صورة الأنا والآخر في رواية "ربيع حار" بسحر خليفة.

أ-صورة الأنا الفلسطيني.

ب-صورة الآخر الإسرائيلي.

3/-أبعاد الأنا والآخر في المنجز الروائي.

أ-الأنا والآخر والهوية الثقافية.

ب-الأنا والآخر والهوية الدينية.

ج-الأنا والآخر والهوية الإستعمارية.

4/-تجليات الأنا والآخر في المنجز الروائي.

أ-خط الصراع والصدام.

ب-خط الرغبة والالتحام.

1/-صورة الأنا والآخر في رواية "ربيع حار":

لا يمكن فهم ظاهرة الرواية تحت الاحتلال الا بفهم جوهر التناقضات التي يخلفها الاحتلال، ويفرز واقعها، هذا الواقع -واقع الرواية تحت الاحتلال- يوقع الدارس في إشكالية الغلط بين حركة المقأومة الشعبية، وبين الرواية كجنس أدبي يعيد تشكيل هذا الواقع وتركيبه ضمن إطار الجنس الروائي، يهيئ وضع الاحتلال، بوصفه أداة قمع ونهب متواصل لمساحة الأرض، وللثقافة العربية الفلسطينية المتواجدة على هذه المساحة- حركة واقع خصبة، صدامية شرسة، ويومية، ومقأومة ورفض.

هذا ما حولنا رصده من خلال دراستنا لرواية "ربيع حار" لسحر خليفة في الجزء التطبيقي من البحث.

2/-صورة الأنا والآخر في رواية "ربيع حار" لسحر خليفة:

أ-صورة الأنا الفلسطيني:

وهي تلك الرؤية الإيجابية التي تقدمها الروائية "سحر خليفة" لنماذجه الإنسانية والواقعية في روايتها، تلك التي تحمل ولاء وتعلقا وطنيا أو قوميا أو اجتماعيا أو فكريا أو نفسيا، وتحمل شعورا بالانتماء إلى غيرها من بني أصلها -الفلسطينيين- وبمعنى عام منشبة إلى هويتها العربية متمسكة بها أشد التمسك، تدافع عنها بكل ما أوتيت من قوة.

وهذه الصورة واردة بكثرة في أعمالها تمثل غالبية الهوية الفلسطينية التي تبلورت عقب الظروف التي مر بها الشعب الفلسطيني، أدت إلى تقديم الصورة الفلسطينية على أنها شخصية مناضلة وثورية ثائرة لها أهداف ومساعي مشتركة لذا نلمس محأولتها التغيير من الأحداث والأوضاع مدافعة عن هويتها وكل متعلقاتها الثقافية، وقد برزت للعيان بعض الفنون الشعرية

والنثرية التي تتحدث عن هوية الفرد الفلسطيني وتمجد فعل النضال الوطني ضد العدو الصهيوني بطرق أكثر فنية واحترافية وواقعية ومنها أدب "سحر خليفة" .

"وقد بدأت الرواية الفلسطينية تقف على أرض صلبة، بعد أن كانت رواية الانسان الفلسطيني حياته ونضاله وتاريخ تشتته صارت أيضا رواية الانسان المنتزع من جذوره التي يبقى لصقا بها مادام على وجه الأرض، انها رواية ولادة للوعي الوطني واللاجئ الذي أصبح مقاتلا"[1]، فصورت الفلسطيني مقأوما وواعيا بأبعاد قضيته. يحمل داخله إحساسا قويا بالانتماء لقوميته ودينه ولغته والانتساب إلى أرضه.

انه ذلك الشعور العميق بالهوية عند المنتمي الذي "...يتكون ضمن سياق تفاعل الذات بمحيطاته العائلية والاجتماعية وارتباطاته العائلية والاجتماعية وارتباطاته العقائدية والإيديولوجية داخل الثقافة العامة التي تسم مجتمعنا من المجتمعات"[2] فالمنتمي لا يتملكه شعور بالفصال عن نفسه وغيره بل العكس هو يرى أن شخصيته جزء تابع لبنيته الأسرية، ويزداد هذا الإحساس بالهوية عندما يتواصل مع غيره من الأفراد في المجتمع.

اذ أن الفلسطيني المنتمي يملك إحساسا متماسكا بالذات يعتمد قيما مستقرة ثابتة، وهو على قناعة بأن أعمال المرء وأخلاقه ذات علاقة متناغمة تجعل منه شخصا سويا فالانتماء لديه شعور بالكلية والاندماج تجعله قادرا على معرفة وإدراك ما هو خطأ وما هو صواب، انه يحمل شعورا بالمسؤولية يجعل كل عمل يقوم به لصالح الجماعة المنتسب اليها ولا يقوى على خيانتها أو التنصل من واجباته تجاهها، بدونها تضطرب أناه ويفقد معنى هوية النحن داخله، انها ضمان لحقوقه ولشرعيته في الوجود، لكونه لا يقدر على العيش دون انتماء.

[1] ينظر ماجدة محود: النقد الأدبي الفلسطيني في الشتات، دار عيال للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1992م، ص233.

[2] محمد نور الدين أفاية: الهوية والاختلاف (في المرأة الكتابة والهامش)، افريقيا، الشرق، الدار البيضاء، د ط، د ت، ص21.

نلمس صورة الفلسطيني عبر كافة روايات "سحر خليفة" كما هو يظهر في روايتها "ربيع حار" موضوع الدراسة نجد أنها جسدت صورة الأنا الفلسطيني وذلك يظهر جليا فب الحوار الذي دار بين أبو سعيد والصحفي يقول: -"يا أبو متين من أحسن للناس والقضية فقد النص أو نفقد الكل؟

صاح المحامي بعصبية،

-يعني الوطن ذبيحة تتباع بالرطل والكيلو والوقية؟ الوطن الغالي ما ينباع، لكن قادتنا البياعين قاعدين يفصلوا على مقاسهم ومقاسهم نص وربع وخمس، وبعد سنتين أو ثلاثة يمكن ما يظل ولا شيء ينباع.

هز الصحفي رأسه وقال بأسى،

-هو في الحقيقة ما ظل ولا شيء، أخذوه كله، لكن لو تعلمنا نشتغل مضبوط ونتكتك صح كان ممكن نأخذ شيء منهم

صاح المحامي محقدا،

-لا ما أخذوه، احنا واقفين لهم بالمرصاد، حتى لو ظل طفل بيرضع مش ممكن نسلم ولا نركع.

ابتسم الصحفي ونظر حوله ليرى تأثير هذا الكلام الذي سمعوه مئات والاف المرات من الشعراء والقادة وخطب المجامع.[1]

فمن خلال هذا الحوار صورت لنا الرواية صورة الفلسطيني الصامد والمتشبث بأرضه وهويته وانتمائه لفلسطين، الفلسطيني المقأوم والواقف في وجه المحتل الصهيوني بالمرصاد.

[1] سحر خليفة: ربيع حار، رحلة الصبر والصبار، دط، دت،ص108.

وفي موقع اخر نجد في الدور الذي كان يقوم به "مجيد" على خشبة المسرح مصورا إمال والام الشعب الفلسطيني يقول:

"وأخيرا جاء مجيد القسام، دخل المسرح قافزا الدرجات باللباس الأسود وشال العلم والكوفية ويداه تلوحان بحركات النصر فصاح الجمهور: قسم، قسم، ابن الثوار، قسم، قسم، ابن الأحرار، قسم، قسم، ثورة النصر والحرية، بم بم بم بم".

التفت الأب حوله بذهول، ورأى الكتاب والصحافيين يتبعون الركب ويرددون مع الطلبة: قسم، قسم، ويصفقون، ويرددون بأعينهم فوق الأدراج والأسوار وأغصان الشجر وعلى وجوههم ابتسإمات الأمل وحماس الشباب، كأن الجو نفخ فيهم، أعاد إليهم أمل الماضي وحلم التحرير والحرية وشحنة أيام عاشوها أيام العز، قبل النكسة[1] فالفلسطينيين قاتلوا بكل ما أوتوا من قوة بالسلاح وبالقلم وأوصلوا صوتهم للعالم بكل الطرق والوسائل، وهذا ما فهمناه من النص الذي كان يمثل على خشبة المسرح، فالمسرح يعتبر أحد وسائل المقأومة.

منا أن الفلسطينيين لم يتوقفوا على هذا الحد بل دخلوا في اشتباكات مع اليهود يقول:

"فهؤلاء اليهود، رغم التدجيج والسلاح العظيم والطيارات، لا يسأوون شيئا على الأرض حين الاشتباك بالسلاح الأبيض من دار لدار، فنحن هنا أبناء البلد نعرف تفاصيل أزقتنا ومداخلها ومخارجها وأسرار المخابئ والحارات، هم سيكونون مع الصيع في هذا اللغز لان أزقتنا والزواريب هي فعلا لغز، ولا يقدر على اللغز الا أهله، فليستعدوا للقاء الموت حين الاشتباك على سطح الأرض خارج جدران الدبابات والمنجزات وأجنحة الأباتشي والطيارات، نحن لهم مثل

[1] –المصدر السابق، ص28.

العفاريت ستفاجئهم من خلف الدور ومن العتمة ومن فوق لتحت نقفز كالجن وسنريهم الموت ونجوم الظهور."[1]

فالفلسطينيون اتبعوا شتى السبل للتحرر واسترجاع الأرض وتخليصها من الخراب والدمار الذي خلفه الاستعمار الاستدماري الصهيوني، فصورة الفلسطيني المقأوم الصامد والمتمسك بالأرض جسدتها جل شخصيات الرواية.

يقول "أحمد" "فلسطين هي قلب الأم وقلب الأم وصدر الأم ورحم الأم أهناك أم بدون فلسطين؟ بالطبع لا. اذن فلسطين هي أم الأم، وقد قال النبي، عليك بأمك، وأمك، وأمك، ثم أبيك، هذا ما قال فما قولك، قال فلسطين هي الأم، فمسح جبهته بماء زمزم وقال له أنت مجاهد، فأحس بقامته تعلو واتسع الكون"[2]

ب/صورة الآخر الإسرائيلي:

تحضر صورة الآخر الفلسطيني في هذه الروايات ذات الأصل الفلسطيني، ومن الطبيعي أن يمارس هذا العامل –المستعمر– تأثيره تكوين صورة الإسرائيلي المختلف في ذهن أي أديب فلسطيني وفي النتيجة بالضرورة تأثيره في الفكر الروائي وانفعالاته الإبداعية عند كتابة الرواية ومعالجة الآخر فيها، "حتى والرواية أكثر الأجناس أو الفنون الأدبية تطلبا للموضوعية والحيادية والتعددية وأبعدها عن العاطفة والانفعال"[3] وبحكم هوية الأديبة "سحر خليفة" الفلسطينية، وبسبب تعرض ثقافتها للانتهاك من طرف العدو الصهيوني تفأوتت نظرته للإسرائيلي بين مسالم ومعاد.

[1] المصدر السابق، ص80.

[2] المصدر نفسه: ص101.

[3] نجم عبد الله كاظم: نحن والآخر في الرواية العربية: دار الفار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2013م، ص72.

وقد أولت الروائية "اهتمإما بتقديم العلاقات الإنسانية التي تقوم على المودة وحسين الجوار مما يرسم للمسلم صورة مشرفة في انفتاحه على الآخر دون أن تكون هذه الصورة على حساب الآخر اليهودي"[1] وهي تصور لنا الانسان الإسرائيلي دونما أحكام مسبقة عنه، كأنه شخص عادله من سمات الخير كما عليه من سمات الشر، يشبه بني البشر في أشياء ويختلف عنهم في أخرى، وربما هذه الصورة نابعة من موضوعيته كأديب عايشه في الواقع، وحوله إلى سرد وتخييل، لكن رغم هذا يبقى الآخر اليهودي العدو المباشر للفلسطيني والعربي ما دامت قدماه تلوثان الأراضي المقدسة وتبقي صورته بوصفه اخر معاديا، غالبة على صورته كانسان مسالم في هذه الرواية كما سنرى في الرواية، اذ يبدوا بوجه سلبي في حياة الفلسطيني الذي تعلم مجبرا على التعايش معه في أرضه رغم الأحقاد المتبادلة بين الطرفين، وها هو يرفع مدافعه وأسلحته وفي وجهه، ويرتكب فيه كل أشكال العنف من قتل واعتقال وتهجير واقتحام لملكياته وخصوصياته الثقافية، يظهر ذلك جليا في الممارسات الإستعمارية في حق الفلسطينيين والتي رصدناها من خلال الرواية "وظل اليهود في الدبابات والمجزرات والطيارات يقذفون القنابل والصواريخ ويخترقون الأزقة بمدرعات مثل الغيلان الواحدة منها بطوابق مثل بناية بثلاثة أدوار أو أكثر ولا أحد يطل أو يظهر الا المدافع والأنتينات وكاميرات تصور من أعلى وتخترق العتمة وتخترق الضوء، شاب فدائي فجر نفسه بالدبابة وبعض بطولات خارقة لكن المد، الجحافل، والدبابات والليزر، ومجنزرات تهدر في الجو وفي الزواريب وتجرفها وتحرق وتدمر وتفجر فيرتفع اللهب وتنسحق الأبنية وتتكسر ويصبح اليهود في السماعات: سلم نفسك، سلم ،سلم ، يا أهل نابلس يا شراميط، أحنا جايين نفعل فيكم، وصاح الشاب انسحبوا لجوة لقلب السوق، بالله انسحبوا، انسحب هذا وتخلف ذاك واخر استشهد في مكانه ورابع اختبأ خلف الجدران فسحقوها

[1] ماجدة حمود: صورة الآخر في التراث العربي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010م، ص96.

على رأسه ورؤوس الناس والناس يصيحون والنساء تصيح، وعويل الجرحى والأطفال وفوضى مخيفة، وقيامة تقوم في المدينة والناس في هلع والزلزال مثل السينما وأفلام الرعب وغزو الفضاء ويوم الحشر كما نسمع عنه، يوم القيامة."[1]

جاء المقطع مشحونا مثقلا بالدلالات ومعبرا عن حالة الظلم الذي يعيشه الفلسطينيين تحت وطأة المستعمر الصهيوني والعذاب الذي يقتل الفلسطينيين كل يوم وكل دقيقة.

استطاعت الكاتبة حمل صورة حية لما يحدث في فلسطين والفعائل الشنيعة التي ترتكب كل يوم في حق الشعب الفلسطيني ذلك من خلال التصوير الدقيق والأسلوب الراقي الذي قدمت به نصها.

وفي مقطع اخر نجدها تقول: على لسان الشخصية "أحمد" في حوار دار بينها وبين "أم سعاد":

"فقدنا كل شيء، البلد خرابة، والناس طردوهم من بيوتهم والفلاحين خلعوا شجرهم ودمروا البيوت ونسفوا المساجد وجرحوا المئات واعتقلوا الألوف، ما ظل شيء نعيش من أجله، ...

قال: الإسعاف، حتا الإسعاف ما خلص منهم، 20 سيارة أو أكثر بيضا وكبها اسعاف بهلال أحمر وصليب أحمر سلحوها وسجل ومشوا فوقها بالدبابات زي الصراصير وأنا منها نجيت بأعجوبة ...

قال: وجنين كمان لعنوا دينها، حرقوها حرق، حرثوها حراث، طردوا الأهالي من بيوتهم وناس هدموا بيوتهم فوق رؤوسهم ومشوا فوقهم بالدبابات، والناس اللي خرجوا من بيوتهم تحت الشتا وبالهواء البرد حتى الطبيعة ما رحمتهم، عمرك شفت نسيان قاسي بهذي القسوة؟ مطر وزوابع

[1] المصدر السابق: ص38.

وبرد وريح والناس مش عارفه وين تهرب أو تتختبأ من ظلم السما أو ظلم الأرض، عمرك شفت؟ أنا مش عارف ايش عملنا؟ ساعات بقول الموت رحمة، وساعات بقول احنا كفرنا..."[1]

لم تتوقف إسرائيل عند حد التعذيب والقتل والتفجير فحسب بل تجأوز هذا بالمساس بمقدسات الهوية الفلسطينية، فحرقوا المساجد وبيوت الله والمدارس. "أولاد الكلب! إما مصيبة! مإذا يفعل بهؤلاء الشباب؟ مإذا يقول ومإذا يكتب؟ كتب كثيرا عن هذا الجيل وميوعته وعن مستوى الوعي وهبوطه، وانتشار الفساد بين الطلبة، وعن إسرائيل تعبث بالجيل وبالطلبة بتسويق العهر والعمالة وتهريب الايدز والمخدرات والسلاح الرخيص، ولم يكشفوا بأسواقنا نحن بل والأسواق العربية..."[2]

فإسرائيل والصهاينة لم يكتفوا بالمعاملات الدنيئة والتعذيب الذي يعيشون الفلسطينيون فيه بل وصل الأمر بهم بتشويه صورة فلسطين وشعبها والحط من قيمتها من خلال اللعب بثقافة المجتمع والجيل الصاعد وقتل روح المقأومة فيهم.

3/- الأنا والآخر في المنجز الروائي:

تعتبر إشكالية الأنا والآخر أحد القضايا التي تنأولتها العديد من الروايات سواء العربية أو الغربية، فكانت من أحد المسائل التي جسدن الصراع والصدام القائم بين الغرب والشرق وهي بارزة في كثير من أعمال الروائيين، اذ شكلت محور دراسة واهتمام الباحثين والنقاد بغية اكتناه أنوارها وتقديم صورة جلية حول هذه الجدلية.

[1] المصدر السابق: ص88.

[2] المصدر نفسه: ص16.

كما أن، الثنائية تتسم بالتلازم اذ لا يمكن الحديث عن الأنا دون التفكير بالآخر، كما أن وجود الأنا يقتضي ضرورة وجود الآخر.

ولكن جدلية الأنا والآخر تفتح لنا زأوية جديدة ألا وهي الفكرة الاقصائية التي تعتمد في النظر إلى الآخر، اذ أن "الحوار الذي يفترض مسبقا أن الآخر على باطل لا يستحق مطلقا أنه حوار، فهو يستدعي التبادل والنقد والمراجعة كما أنه يقتضي البيان والبرهان لإيضاح النوايا وتغير المقاصد"[1] أي انه محل التلاقي والتواصل فيما وراء الاستبعاد والاستهجان أو المطابقة والتماهي.

أ/-الأنا والآخر والهوية الثقافية:

"ترتبط فكرة الهوية بإحكام بفكرة الثقافة والهويات يمكن أن تتشكل عبر الثقافات الرئيسية والثقافات الفئوية التي ينتمي لها الافراد أو التي يشاركون فيها، وعديد من نظريات الهوية ترى العلاقة بين الثقافة والهوية تأخذ أشكالا مختلفة فالباحثون الذين تأثروا بالنظريات الحديثة للثقافة والهوية ينظرون إلى الهوية باعتبارها نشأت بطريقة واضحة من الانخراط في ثقافات فئوية معينة."[2]

يصبح لدينا ما يسمى بالهوية الثقافية الخاصة بالأنا التي تميزها عن الآخر المختلف ثقافيا عنها، ومن عدة نواح أهمها اللغة والدين والتاريخ الخاص بأمة معينة، الذي يحفظ مبادئها وسلوكياتها.

[1] لعوم تشوميكي: النزعة الإنسانية، تر أيمن حداد، دار الآداب، لبنان، بيروت، دط20، 2001م، ص13.

[2] هارلمبس وهوليورن: سوسيولوجيا الثقافة والهوية، تر حاتم حميد محسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص14.

وللهوية الثقافية معنيان، عام وخاص: فهي: "...بمفهومها العام تعني كل طرائق الحياة التي طورها الانسان على مدار التاريخ، بينما تعني الخاص أسلوب الحياة السائد بين شعب من الشعوب من حيث أساليب التفكير والسلوك والمشاعر من خلال ما تجسده العقيدة والقانون واللغة والفن والتكنولوجيا والتربية طبعا"[1]

وهكذا يتوحد في مفهوم الثقافة ما هو متوارث عبر حقب زمنية كثيرة، وبين ما هو مكتسب من طرف الجماعة أو المجتمع الذين يعيش الفرد داخله، اذ" يكون لمجموعة من الناس هوية ثقافية محددة، أو ما يمكن تسميته ثقافة جمعية مشتركة حين يتكلم افرادها نفس اللغة، ويؤمنون بنفس الدين والمعتقدات والايديولوجيات، ويتقاسمون نفس القيم ونماذج الأنشطة الاجتماعية..."[2]

فهي تشمل كافة وسائل التعبير الإنساني من طرائق التفكير والحياة، وتقاليد ونظم واعراق، إلى اللغة المتكلم بها، والديانة السائدة في المجتمع التي تهدف إلى التواصل بين الأنا والآخر.

وهكذا يجمع مفهوم الثقافة الواحدة بين بعدين اثنين ما هو فردي خاص معين، وما هو مجتمعي قومي خاص بوطن معين وامة بعينها، هذا ما قد يبرر لنا انها مثلها مثل مفهوم الهوية، لها ما في الأخرى من نزعات ذاتية تمثل الأنا، كما تحمل في طياتها مظاهر ومعاني تبرز الموضوعية التي يتبناها النحن، وحتى الآخر في حالات قليلة عندما لا يتنافى مع معتقدات الأنا، فحينها يكون المعتقد واحدا تلغى كافة حدود الهوية الثقافية ليتماهى وينصهر مفهوم الأنا مع الآخر.

[1] محمد عبد الرؤوف عطية: التعليم وأزمة الهوية الثقافية، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2009م، ص19.

[2] عصام نجيب: الدور الثقافي للجامعة بين الخصوصية وتنافسية العولمة، جامعة فيلاديلفيا نموذجا، العولمة والهوية (الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية)، منشورات جامعة فيلاديلفيا، عمان، الأردن، أوراق المؤتمر العلمي الرابع بكلية الآداب والفنون، ط1، 1999م، ص223.

ترتبط الثقافة ارتباطا وثيقا باللغة وتعد" اللغة وعاء الثقافة، لأنها تشتمل على تاريخ الامة وعلى ادبها من نثر وشعر، وعلى تراثها الفكري من علوم ومعارف، لذا فهي العنصر الأهم من العناصر البنائية لثقافة الامة، وهي تهب الفرد انتمائه الحقيقي إلى مجتمعه القومي، وهي التي تجعل لكل مجتمع كيانه الثقافي والحضاري الذي يميزه عن سائر القوميات "[1].

وهي بجانب وظيفتها السابقة تحافظ على ثقافة ثم هوية المجتمع من الاضمحلال والانحلال، بوصفها مظهرا أساسيا من مظاهر السلوك الثقافي والاجتماعي.

وفي الأعمال السردية – الروايات – الخاصة بالأديبة " سحر خليفة " –الفلسطينية– يظهر جليا لنا ثقافة الأنا وثقافة الآخر من منظورها العربي عن طريق الاستعانة باللغة العربية الفصحى، واستنادها أحيانا على اللهجة العامية الفلسطينية للتعبير عن الواقع الأليم الذي يسعى الروائي لتمريره إلى القارئ بكل جزئياته وتجلياته وتفاصيله الدقيقة، فهو لا يصدر نتاجه الروائي من فراغ ثقافي، وانما هو ما يمثل ذاته وامته في مواجهة الآخر المتمثل في العدو الإسرائيلي.

ومنذ عرف الشعب الفلسطيني المستدمر الصهيوني الذي فرض عليه نمطه وقيد حركته في وطنه، أصيب هذا الشعب بصدمة عميقة زلزلت كيانه ومزقته وفرضت بقوة سؤال الهوية في مواجهة الآخر العدو، ولم يكن السؤال في هذه الحالة يحتمل سوى إجابة واحدة هي " التأكيد على الهوية العربية الإسلامية في مضامينها القومية والدينية والأكثر الحاحا ورفضا لليهود جملة وتفصيلا "[2].

[1] محمد عبد الرؤوف عطية: عملية التعليم وأزمة الهوية الثقافية، ص46.

[2] ينظر محمد صالح الهرماسي: مقارنة في إشكالية الهوية (المغرب العربي المعاصر) دار الفكر المعاصر، دمشق، بيروت، ط1، 2001م، ص18.

وهي ما ركزت عليه الروائية "سحر خليفة" في روايتها " ربيع حار" حين شبعت شخصياتها بالثقافة الإسلامية العربية الفلسطينية وأول ما يجذب الانتباه عند تصفح صفحات الرواية هو اللغة العامية الفلسطينية التي تعامل بها شخصيات روايتها فنجدها في معظم أجزاء الرواية ويظهر ذلك جليا من خلال المقاطع التالية:

" شوف بالكاميرا، شوف وصور، الصورة بالكاميرا زي الرسم

شوف وصور....

كيف دلعناه! ابنك ما شاء الله اسم الله عليه، نظيف وشاطر بالصف وقميصه دايما زي الفل"[1]

وفي مقطع اخر "_ انا برأيي نجوز هالبنت ونخلص منها.

قال الاب هامسا،

_ تقدم لها عريس

صاح بفرح،

_ههه هه هه، قولوا من الصبح، ومين المنظوم سعيد الحظ؟ مين المسكين؟ "[2]

وايضا:

"_ أخوي تصأوب. كان يناضل بعدين صابوه، قعد مشلول مدة طويلة ....

_ بس يا سعيد، مالك اليوم؟ "[3]

[1] سحر خليفة: ربيع حار، ص04.

[2] المصدر نفسه: ص110.

[3] المصدر نفسه: ص110.

فمن خلال هذه المقاطع يظهر لنا مدى تركيز الروائية على احياء اللهجة الفلسطينية وزرعها في نفوس الشخصيات وهي أحد اهم أنواع المقأومة عن طريق ترسيخ الثقافة العربية الفلسطينية فجل الرواية كانت باللهجة الفلسطينية وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على تجذر حب الانتماء لدى الفلسطينيين.

كما يعد شجر الزيتون وشقائق النعمان والبابونج رموز السيادة الفلسطينية والاصل الأول للفلسطينيين وحقهم في الأرض هذا ما وظفته الروائية كأحد أنواع المقأومة الثقافية، نجد ذلك في قولها " ازهار الربيع تجعله يطير شقائق النعمان وبابونج وقرن الغزال وشومر وزعتر"[1]

وكذلك قولها: " لطمت فلاحة وهي تصيح" الزيتونات "! يا شقي عمرك يا صبحية! فدفعها الجندي من الشجرة ومشت جرافة لتقتلعها من عمق الجذر، الجرافات مثل الدناصير، لها أفواه كالحيتان تلتهم الشجر والحجر والصخر وبطون الأرض ...الفك يغطس والرأس يدور مثل حرباء خرافية والدواليب تحفر أثلإما وحشية، وتسحق ما بقي من أغصان وحجارة والصخر الجميل، الصخر الجميل! يإما وهو يصطبغ بلون الشمس ويلمع في المطر كما المرأة. الصخر الجميل!"[2].

ذكرت لنا الروائية وكلها تدل وتوحى على معنى واحد وهو تجذر الفلسطينيين بأرضهم وانتمائهم لها ولاحق لغريب على أرض فلسطين، صورت الروائية أدق صور الانتماء وحب الأرض.

[1] المصدر السابق، ص09.

[2] المصدر نفسه، ص119.

ب-الأنا والآخر والهوية الدينية:

تعد الديانة من أقوى مرتكزات الهوية التي تشكل معنى الأنا الجمعي لأي أمة، ونعني بها الإمان بأفكار ومعتقدات وتصورات تتصل بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتتعلق أيضا بالتنظيمات والتشريعيات الدينية ويعد "الدين من أهم العناصر التي تشكل ثقافة المجتمعات، وتوجد قيم ومفاهيم الأفراد فيها وأنماط تفكيرهم وعاداتهم وتقاليدهم وأراءهم بخصوص الطبيعة والانسان والعلاقة بينهما"[1]

فالإسلام مثلا هو ديانة الأمة الإسلامية ممثلا لأصالتها وهويتها، فهو الذي يطبع ويصبغ ثقافتها بطابعه ويصوغ نظرته للكون، للذات والآخر، ومما هو متعارف عليه أن الديانة الإسلامية جاءت هداية للإنسانية جمعاء، ولم تنكر الرسالات السمأوية السابقة ودورها، بل جمعت بينها لتصحح العقيدة الدينية.

وفي المقابل الآخر اليهودية كذلك ديانة ونظام حياة، فهي ديانة لكونها تنطلق من الايمان بوجود الله والاقرار بالأنبياء والرسل لهداية بني إسرائيل، وقد استطاع اليهود أو يطوعوا دينهم لما يخدمهم ويبيحون ما يريدون ويشاءون باسم الدين، باعتقادهم انهم الشعب المختار يفعلون ما يرغبون فعمدنا للمقارنة بين الديانتين محط الدراسة فإننا نجد أن "من أهم مظاهر الاختلاف الوضع بين الديانتين، تشعب اليهودية في مقابل وحدة الإسلام وتغير النص التواتري في مقابل تباب النص القرآني، واعتماد التفسير الإنساني للوحي كمصدر للمعرفة الدينية في اليهودية، في

[1] محمد عبد الرؤوف عطية: التعليم وأزمة الهوية الثقافية، ص44.

مقابل اعتبار الوحي المصدر الأول والأخير للمعرفة الدينية في الإسلام، واعتبار العقل مجلاد وسيلة لتفسير الوحي..."[1].

ان الهوية الثقافية الدينية أحد أهم عناصر الثقافة المنبثة في هذه الرأوية –ربيع حار– "لسحر خليفة" تمثلها الشخصيات التي تكتسب معنى الانتساب إلى ديانة معينة، وقد أوردتها الروائية –سحر خليفة– بدلالات عديدة حيث نجدها تقول: "الدين هو تاريخ، فلتتفضل ابنة تاتشر وترينا ضمير من خلقها وهو يدمر متحف بغداد والبني ادمين ولون الأوزون. يقولون الدين بلا رحمة، أي ديننا نحن بلا رحمة، ولكن يارشيل، مإذا عنكم؟ هل لفكم دين؟ قالت، بلا دين...

صاح الشباب: الله أكبر، لكن الله كان يجدد مسيرة تاريخ، ومشى التاريخ مثل العرقوب وساعة بيج بن نحو فتاة تحلم بالحب وضمير الناس."[2]

فالروائية حافظت على الطابع الديني الإسلامي الذي عملت على ترسيخه في نفوس شخصياتها، وهذا الحفاظ بحد ذاته يعد مقأومة من نوع اخر فحارب الفلسطينيون الصهاينة بالقلم والدين وكذا السلاح وهذا ما نلمحه أيضا في بعض العبارات الدينية على لسان الشخصيات نرصد منها ما يلي: "ابنك ما شاء الله اسم الله عليه، نظيف وشاطر بالصف وقميصه دائما زي الفل."[3]وكذا نجده في الحوار الذي دار بين البطل وأحد المسيحيات "راشيل" الذي أراد من خلاله أن يبين لها مدى أهمية الدين في حياته يقول:

[1] محمد خليفة حسن أحمد: علاقة الإسلام باليهودية (رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د ط، 1988م، ص6.

[2] المصدر السابق: ص120.

[3] المصدر نفسه: ص04.

"–الدين تاريخ

–الدين، الدين، مالنا وماله؟

قال بحرارة وشبع اقتناع،

–الدين مهم، الناس بلا دين زي الضايعين.

....

قال بعناد،

–الدين ايمان، الدين هوية وقومية وكمان تاريخ إذا راح الدين مإذا بقى؟ ....

–أنت بلا دين؟ أنا متدين. أنا عندي الدين أهم من الأكل ..."[1]

ومن خلال هذه المقطع تظهر أهمية الدين لدى الفلسطينيين فهو من المقدسات التي لا يسمح المساس بها.

وفي المقابل الآخر نجده أيضا يحافظ على ديانته المسيحية يقول: ابنة تاتشر كانت بلا دين، صور، صور. ابنة تاتشر صارت منا، صارت قديسة مسيحية."[2]

ومن هنا تتجلى هوية الأنا والآخر الدينية.

ج/–الأنا والآخر والهوية الإستعمارية:

يظل التاريخ الإنساني مليئا بمشاهد قسوة الآخر لهذا تقوم الأنا بإلغاء دوره وفعاليته في النهوض بالحضارة وتصنفه في دائرة سلبية كانت وليدة علاقات متوترة تضع الآخر ضمن إطار

[1] المصدر السابق: ص118.

[2] المصدر نفسه: ص120.

واحد مشوه تشويها سلبيا، "وفي هذه الحالة تكون وظيفة الأنا اثارة مشاعر العداء والكراهية تجاه الآخر، ومشاعر الولاء والتضامن والتوحد تجاه الذات أو التحت، وبذلك تتحول هذه الصورة إلى وسيلة من وسائل التعبئة النفسية ضد الآخر العدو"[1]

ترفض الذات الفلسطينية التواصل مع الآخر، لأنه وافد اليها بصفة الغازي والمستعمر لها الذي يحأول تدمير حضارتها وإلغاء ثقافتها، ومن هنا يتولد الشعور بإشكالية هويتها الذي يحأول المستعمر الصهيوني طمسها.

فالقضية الفلسطينية باعتبارها موضوعا مركزيا وأساسيا ومصيرها شغلت اهتمام آدابها، لأن الآخر يمثل العدو الإسرائيلي الذي ألغى وجودها وهويتها، واستعمل كافة الأساليب التي شأنها أن تكرس التخلق والتبعية في الهوية الفلسطينية، فالآخر يعتمد أسلوب الردع والمنع ضد الأنا التي تحأول رفض سياسته الانتهازية لبلاده، ولكن دون جدوى ودون فائدة.

وبالعودة لنص موضوع البحث نجد أن الروائية صورت كل أشكال التي أنتهجها المستعمر في حث الشعب الفلسطيني لإرضاخه من قتل وتشريد واعتقال وتفجير هذا ما جاء على لسان الشخصية "أم سعاد" "اه يا بلدنا، وحدك في الهم؟ لست وحدك، فألوف الناس، ملايين الناس الغلابى والمنكوبين قاعدين حدك. أنظري حولك.

نظرت حولها ورأت أكوإما بشرية مكدسة هناك في قاعة مدرسية حكومية ... أبناؤها كل واحد في بلد، وأبو الأولاد مرمي في السجن، وهي هنا بين الأكداس البشرية تسمع بكاء أطفال،

[1] ينظر ماجدة حمود: صورة الآخر في التراث العربي، ص27.28.

الناس ونواح الأمهات واليتامى وعويل مصابين لم تصلهم أيدي الهلال والإغاثة بسبب المنع، منع التجول طال وطال وأمتد أيإما وأسابيع ثم أشهر".[1]

فمن خلال هذا المقطع الوصفي يتبين لنا معاناة الفلسطينيين كل يوم والحصار الذي سلط عليهم، وكل أشكال العنف الممارس في حقهم.

كما نجد أيضا وصف لحالة الحصار التي دخلت فيها فلسطين وما نتج عنها من عذاب وقتل وتنكيل "بدأ الحصار العريض الطويل فتفصل الشارع عن الشارع وصارت المدن أشبه بأقفاص معزولة فكل مدينة هي جيتو ضخم محاط بجنود ودبابات سدت مداخلها بخنادق وسواتر ترابية وحواجز. وكم مات شباب على الحاجز ونساء يلدن على الحاجز، ومرضى يموتون على الحاجز، وعمليات قنص وتظاهر وحبس العمال في منازلهم وقطع الأرزاق. وانتفى التنقل بالسيارات، فعادت العرابات والحناطير المجرورة بحمير القرى إلى الوجود كوسيلة نقل للمتسللين عبر الدروب الجبلية وصار الركوب على الدابة موضة جديدة بعد أن غزتنا العولمة وإسرائيل".[2]

هكذا صورت لنا صورة الأنا المستعمر ووحشيته ومدى قذارته في حق الشعب الفلسطيني الأبي ومن خلال مجموعة من المقاطع الدالة المؤثرة في النفس.

[1] المصدر السابق: ص87.

[2] المصدر نفسه: ص41.

4/-تجليات الأنا والآخر في المنجز الروائي:

تمتلك الرواية القدرة على تقديم تفاصيل الحياة بكل حقائقها وأوهامها مما يتيح لنا دراسة إشكالية العلاقة بين الأنا والآخر فيها، اذ نستطيع ان نتفتح إما المتلقي طريق فهم الذات والآخر معا.

هنا تلعب الرواية دور المخبر عما يختلج الذات من مشاعر وأحاسيس داخلية وعلاقتها بالخارج، فهناك من بينت -الرواية- لنا بشاعة وهمجية ودناءة وغدر الآخر/الغربي لأن الأنا العربية عانت القهر، والقمع والاضطهاد، الذي مورس عليها من طرفه، فنظرت اليه بنظرة سيئة سلبية، ورفضت كل ما هو أجنبي بحكم أنه عدو لدود وسبب في تخلف الأنا وانحطاطها، وتشتتها وتمزقها الا أن بعض الروائيين ذهبوا عكس هذا الاتجاه في متونهم الروائية، حيث جسدوا وصوروا الآخر الغربي على أنه ملاك معصوم من الخطأ، فانفتحوا على كل ما جاء به ونادى به رغبة منهم في الاستفادة من خبرته، وعلومه وحضارته والاعجاب بالآخر الغربي ولما وصل اليه وبما حققه من تقدم ورقي وازدهار، فنظرت اليه نظرة إيجابية فمجدت حضارته وثقافته.

أ-خط الصراع والصدام:

تستند رؤية الأنا للأخر في حالة التلقي السلبي على الاعلاء من شأن الأنا وتهميش الآخر بتحفيزه والمقاطعة التامة له، باعتباره عدوا مباشرا وسببا من أسباب تعاسة الأنا، فتسيطر عليها "مشاعر التفوق على الآخر وغالبا ما تعززها العلاقات العدائية مع الآخر نظرا للمشاعر العدائية وسوء الفهم، لذلك لن يسمح بسماع صوت هذا الآخر ولن يتاح له حرية التعبير عن ذاته، وإذا سمح له فبشكل مشوه كي يبرز الأديب الواقع الثقافي الأجنبي في مرتبة أدنى من ثقافته

المحلية"[1]وفي هذه الحالة لا يمكن أن يكون الحوار مع الآخر الا حوارا سلبيا منطلقه عدم تكافئ القوى، فالأنا ترفض الآخر رفضا قاطعا باعتباره العدو المباشر لها المتسبب في الخطر الذي تعيش والخوف الدائم المهدد لحياتها،

علما بأن "الصراع الذي ينتهي بتبادل الأدوار والتحول برفض الآخر وفض ثقافته وحضارته ينتهي معه أي شكل من أشكال القبول لعدم وجود أرضية تفاهم ووفاق، ولابد أن تكون محركات كل طرف متطرفة ومناهضة"[2]

هذا ما رصدناه في قراءتنا لرواية " ربيع حار" لسحر خليفة موضوع البحث، فقد تمثل خط الصراع والصدام في الرواية من خلال الممارسات الإستعمارية الشنيعة في حق الفلسطينيين ومحأولة سلب الأرض من أصحابها بالمقابل رفض أصحاب الأرض هذا المستعمر الصهيوني وممارساته جملة وتفصيلا وذلك من خلال مقأومته وبشتى الطرق، هذا ما أوضحته الروائية في نصها ما جاء على لسان الرأوي "ثمانية أيام مرت على بدء الحصار وما زلت الوشة في رأسي تروح وتجب وتذكرني بارتجاج المخ وارتطام الجدار. ذاك الجدار يبدو تسبب في اعطابي وما عدت أفهم ما يدور وأتجأوب أو يبدو أني من حم الضرب وتتابعه فقدت القدرة على التركيز، كان التفجير والتجريف والقصف والنسق قد طال جميع المباني وانحشرنا جميعا في رقعة صغيرة في جزء من بناية مضروبة لكن فيها شريحة يتيمة مازالت تقف على رجليها".[3]

فمن خلال هذا القول استطاعت "سحر خليفة" تصوير مدى وحشية المستعمر الصهيوني فهو لم يرحم كبيرا ولا صغيرا، بالمقابل إرادة الفلسطيني وصموده ومقأومته ولو كان بالحجارة.

[1] ماجدة حمود: صورة الآخر في التراث العربي، ص27.

[2] ينظر أحمد مداس: المعرفة واستئثار الأنا بإنتاج الآخر، مجلة المخبر في اللغة والأدب الجزائري، صو12.

[3] المصدر السابق: ص89.

وتظهر صورة المقأومة والردع في قول أحد الأطفال "فز عن الأرض وقال بحدة:

أنا رايح أقتل وأقاتل في مخيم الجيش.

يا حسرة عليك وعلى شبابك.

ثم تذكرت أنه مازال طفلا قاصرا لا يعرف رأسه من قدميه، وتذكرت أمه وألمها مثل أم العريس ابن غزة، فنفضت يدها وهمست بأسى: كله واحد!"[1]

ب/خط الرغبة والالتحام:

تنفتح الذات على الآخر في هذه الحالة وتتجأوب معه لتصل إلى درجة كبيرة من الاعجاب والانبهار بالثقافة الخاصة به، اذ "تسيطر على الأنا المبدعة أو الدراسة مشاعر دونية فيتم من خلالها رؤية الواقع الثقافي الأجنبي في حالة من التفوق المطلق على الثقافة الوطنية الأصلية ...فنجد أنفسنا إمام كاتب أو جماعة من الكتاب يعانون من حالة تصل حد الهوس بالآخر، فيسيطر وهم الانبهار على الوجدان مما يؤدي إلى رسم صورة الآخر الأجنبي على حساب الصورة الحقيقية له"[2] وهنا هوية الذات تعاني نقص في ثقافتها تحأول تعويضه فتعثر عليه بتفضيلها لثقافة الآخر، وولعها بأسلوب حياته وطريقة معايشته للواقع، فترسم له صورة مشرقة متخيلة عما تروجه وسائل الاعلام من تطورات وابتكارات استطاع هذا الآخر الوصول اليها وتخطيها عبر التاريخ الإنساني.

وترتبط هذه الرؤية بتقديس الآخر، لأن نجاح أي حوار اختياري أو اجباري بين الأنا والآخر، وأنه "لا يمكن أن يتم دون احترام الآخر والاقرار له بحق الدفاع عن رأيه وموقفه وفكرته

[1] المصدر نفسه: ص89.

[2] ماجدة حمود: صورة الآخر في التراث العربي، منشورات الاختلاق، الجزائر، ط1، 2010م، ص28.

وبالإتيان بالحجج والبراهين والأدلة بكل حرية، ومن هنا يصبح الاعتراف بالآخر ليس من قبيل الترف الفكري، بل لأزمة من لوازم التقدم الإنساني دون تردد"[1]

وتتضح هذه الفكرة أكثر من خلال رواية –ربيع حار– من خلال بناء علاقة حميمية ومفاهمة بين الشخصيات الفلسطينية مع بعض الشخصيات المعادية اليهودية والغربية منها ويظهر ذلك جليا في الحوار الذي دار بين "أحمد" بطل الرواية والبنتين "ميرا" و"راشيل" ذو الأصول اليهودية فميرا من إسرائيل وراشيل من بريطانيا وذلك بخصوص الدين الذي يعتبره أحمد المحور الأساسي في حياته والذي لا يمد بصلة للبنتين تقول:

–يعني الشباب عندنا في الغرب مش بالوارد، لا همهم كنيس وبل كنيسة. لكن عندكم في الميدل ايست الدين مهم وحاجة كبيرة. بدك رأيي؟ الدين تاريخ، بس مش أكثر

هزت ميرا رأسها وقالت موافقة.

–الدين تاريخ.

–قال بحيرة وفضول شديد،

–وأنا بتاريخ أو بلا تاريخ؟

–نفضت راشيل يدها وقالت بملل،

–الدين، الدين، مالنا وماله؟! ...

[1] غريغوار منصور مرشو وسيد محمد لبحسيني: نحن والآخر (حوارات لقرن جديد)، دار الفكر ودار الفكر المعاصر، دمشق سوريا وبيروت، لبنان، ط1، 2001م، ص.

–هز رأسه وابتسم بشك، اذ ما هذا؟ البنت اليهودية تقول "الضمير" والبنت الغربية تقول "الضمير"! يعني الشبعان ينصح الجوعان باتباع رجيم"[1]

فمن خلال هذا الحوار نفهم أن هناك احترام بين الطرفين وتقبل للأخر بكل ديمقراطية وكذا حرية التعبير وهذا ما يعكس هذه النظرة.

كما نجد صورة الالتئام بين الأنا والآخر في صورة العلاقة التي ربطت بطل الرأوية "أحمد" باليهودية "ميرا" تقول: "وضع يده على صدره وقال بوضوح "أنا ..." وأراد أن يتبعها بكلمة أحمد لكنه سمعها تقول "أني ميرا" فهز رأسه وابتسم لها وهو يشير إلى صدره "أنا أحمد، أنت ميرا،" قالت مرددة خلفه "أني ميرا، انا امد"

وهكذا صارا صديقين، أو ربما مشروع صداقة، سر لا يجرؤ على البوح به حتى لأخيه ولا لأمه. فمن هي صديقته هذه؟ ابنة مستوطن بطاقية ورشاش ضخم وأبوه يقول من أوسخ البشر، من وسخ البشر، هو يعرف تمإما أن ميرا ليست وسخة وليست قبيحة، بل هي للحق أجمل مخلوق رأته عيناه."[2]

فمن خلال هذا القول تتأكد لنا نظرية الالتحام والالتئام بين الأنا الفلسطينية "أحمد" والآخر اليهودي "ميرا" ربطت بيهم علاقة صداقة متخذين من الإنسانية شعارا لهم، ويتضح ذلك من خلال القول الذي دار بين شخصيتين فلسطينية وأخرى يهودية "بدعاة السلا، الحب والسلام ممكن نخرج من هذا العنف، لكن بالقتل، بالعمليات، مش ممكن نخلص ونخلص عن طريق

[1] المصدر السابق: ص118.

[2] المصدر السابق: ص13.

العنف ما في خلاص، هيك قال المسيح وحتى الإسلام، وحتى بدينهم، السلام والحب هو هدف الكون"[1].

يتضح أن كلا الطرفين أتعبهم القتل والحرب والدمار وأرادوا الوصول لحل يرضي الطرفين الا أن الفلسطينيين لم يرضوا بأقل من حقوقهم في الأرض.

معمارية النص الروائي "الملخص":

رواية "ربيع حار" لسحر خليفة، ترصد الروائية يحر خليفة، عدة ملامح ومضامين مكثفة لشبكة معقدة من التداعيات الاجتماعية والاقتصادية والسيكولوجية، التي تتراكم ما بين مرحلة وأخرى، في المجتمع، ثم تنفجر على شكل تحولات قاسية وجارفة لأبعادها الإيجابية والسلبية على حد سواء، ورغم أن أجواء هذا الرصد لا تختلف بشكل عام عما سبق للروائية نفسها أن رصدته من أجواء في روايتها السابقة الا أن الاختلاف الوحيد يبقى في كل مرة، في المرحلة المختارة لحركة الرواية.

فمرحلة "ربيع حار" هي الاجتياح الإسرائيلي الواسع والضخم لمدن الضفة الغربية في ربيع عام 2002م، تحت عنوان {السور الواقي}، وما نتج عنه من مذابح، وعلى وجه الخصوص مذبحة "مخيم حنين"، ومن تدمير واسع للبلدة التاريخية القديمة من مدينة نابلس، ومن تكثيف لعمليات بناء الجدار داخل وحول هذه المدن وتراها ومخيماتها ومن تشديد للحصار على الناس وعلى السلطة، بما فيها مقر الرئيس "ياسر عرفات" في المقاطعة "برام الله".

[1] المصدر نفسه: ص105.

خاتمة

بعد الغوص في الموضوع واستجلاء الحقائق المعرفية، خلص البحث عبر خطواته المدرجة والمحددة سلفا، إلى مجموعة من النتائج حول أهم ما ورد عبر الفصلين الأول والثاني نذكر منها:

1. الذات كمقابل للآخر تحيل إلى التمايز والاختلاف وتتضمن التباسا على المستوى الدلالي.
2. إن العلاقة التي تربط الأنا مع الآخر علاقة تقتضي الحذر منه في التعامل، كونها تلازمية في الوجود، جدلية في المفهوم تقتضي حسن الإدراك والوعي، فمفهوم الآخر يتشكل من رحم الذات.
3. الذات هي من ترسم حدود الآخر وتضع موصفاته، يمكن أن يكون الآخر فردا كما يمكن أن يكون أحيانا أخرى جماعة.
4. إن الذات هي التي توجه صورة الآخر وتشكلها وفقا لمنظورها الجماعي ووعيها الذاتي.
5. الأنا والآخر من الثنائيات التي احتلت مكانة هامة في الفكر العربي الحديث وعيا بعمق العلاقة بين هذا الجزء من العالم الذي ينتمي إليه العربي والذي يصطلح عليه عادة بالشرق، والجزء الآخر من العالم الذي ينتمي إليه الأوروبي ويصطلح عليه عادة بالغرب، فكل واحد منهما يهدف إلى فهم الآخر بالقدر الذي يهدف إلى فهم ذاته ويسعى إلى اكتشاف الذات من خلال الآخر.
6. تعد "سحر خليفة" واحدة من الروائيات العربيات اللاتي عرفت أعمالهن في كل العواصم العربية بسبب الجدية الشديدة التي تميزت بها رواياتها، والتزامها بقضايا الواقع الفلسطيني.
7. تقدم "ربيع حار" صورة مدهشة للذات العربية الفلسطينية المناضلة الواقعية التي تعمل بجد وتعي ما يدول حولها.

8.صورت لنا سحر خليفة من خلال روايتها جل الممارسات الشنيعة في حق الفلسطينيين.

9.تعد رواية ربيع حار صورة حية لآلام وآمال الفلسطنيين والقضية الفلسطينية عامة.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم، برواية ورش.

المصادر:

1. توفيق الحكيم: عصفور من الشرق، دار الاعمال الكاملة، الشروق، القاهرة، د.ط، 2004.

2. سحر خليفة: ربيع حار، رحلة الصبر والصبار، دار الاداب، بيروت ، لبنان، دط، 2004.

القواميس والمعاجم:

3. عبد المجيد سالمي، نور الدين خالد، معجم المصطلحات علم النفس، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، (د.ت)، (د.ط)

4.مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، مصر، د.ط، 1983م.

5. ابن منظور: لسان العرب، ج4، دار صابر، بيروت.

المراجع:

6.أحمد مداس: المعرفة واستئثار الأنا بإنتاج الآخر، مجلة المخبر في اللغة والأدب الجزائري.

7. بشرى كاظم الحوشان الشمري: علم نفس الشخصية، عمان، دار الفرقان للنشر والتوزيع، 2007م، د.ط.

8. الزهرة بلحاج: الغرب في فكرة هشام شرابي، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2004.

9.صلاح صالح: سرد الآخر (الأنا والآخر عبر اللغة السردية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2003م.

10. عباس يوسف الحداد: الأنا في الشعر الصوفي (ابن الفارض نموذجا)، دار الحوار، سوريا، ط1، 2005م.

11. عبد الرحمان بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1980م.

12. عبد القادر شرشال: كتابة الآخر في الرواية المعاصرة، مجلة الخلد ونية، العدد التجريبي، نشر ابن خلدون، تلمسان، 2005م.

13. عبد الله ابو هيف: ازمة الذات في الرواية العربية، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يوليه، ديسمبر 1994.

14. عبد الوهاب بوحديبة: دراسة عنوانها " الحياة الاجتماعية الإسلامية كما صورها بعض الشرقيين". وقد نشرت ضمن: مناهج المشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ج2، تونس، 1985.

15. عز الدين اسماعيل: الشعر العربي المعاصر وقضاياه وظواهره الفنية، دار العودة، لبنان، ط3، 1981م.

16. عصام نجيب: الدور الثقافي للجامعة بين الخصوصية وتنافسية العولمة، جامعة فيلاديلفيا نموذجا، العولمة والهوية (الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية)، منشورات جامعة فيلاديلفيا، عمان، الأردن، أوراق المؤتمر العلمي الرابع بكلية الآداب والفنون، ط1، 1999.

17. علاء عبد الهادي: شعرية الهوية (نقص فكرة الامل، الأنا بوصفها انا أخرى)، مجلة عالم الفكر، العدد1، مج36، الكويت، سبتمبر2007م.

18. غريغوار منصور مرشو وسيد محمد لبحسيني: نحن والآخر (حوارات لقرن جديد)، دار الفكر ودار الفكر المعاصر، دمشق سوريا وبيروت، لبنان، ط1، 2001م.

19. لعوم تشوميكي: النزعة الإنسانية، تر أيمن حداد، دار الآداب، لبنان، بيروت، دط20، 2001م.

20. لويس معلوف: المنجد في اللغة والعلوم، مادة (انا)، دار المشرق والمكتبة الشرقية، لبنان، ط1، 1993.

21. ماجدة حمود: صورة الآخر في التراث العربي، منشورات الاختلاق، الجزائر، ط1، 2010م.

22. ماجدة محود: النقد الأدبي الفلسطيني في الشتات، دار عيال للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1992م.

23. مجموعة من المؤلفين: صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا اليه، تحرير: الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1999.

24. محمد خليفة حسن أحمد: علاقة الإسلام باليهودية (رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د ط، 1988م، ص6.

25. محمد راتب الحلاق: نحن والآخر، دراسة في بعض المتدأولة في الفكر العربي الحديث المعاصر، منشورات اتحاد كتاب العرب، سوريا، د.ط، 1997م.

26. محمد صابر عبيد: جماليات التشكيل الروائي، دار الحوار للطباعة والنشر، سوريا، د.ط، د.ت.

27. محمد صالح الهرماسي: مقارنة في إشكالية الهوية (المغرب العربي المعاصر) دار الفكر المعاصر، دمشق، بيروت، ط1، 2001م.

28. محمد عابد الجابري: الغرب والاسلام، مجلة العربي، ع503، الكويت، اكتوبر، 2000م.

29. محمد عبد الرؤوف عطية: التعليم وأزمة الهوية الثقافية، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2009م.

30. محمد نور الدين أفاية: الهوية والاختلاف (في المرأة الكتابة والهامش)، افريقيا، الشرق، الدار البيضاء، د ط، د ت.

31. مريم سليمان: علم النفس التعلم، دار النهضة العربية، لبنان، طَ1، 2003م.

32. مصطفى سويف: الاسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، دار المعارف، مصر، د.ط، 1959م.

33. مصطفى عبد الغاني: قضايا الرواية العربية، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1999م.

34. ميخائيل ابراهيم اسعد: شخصيتي كيف اعرفها؟ دار الافاق الجديدة، لبنان، ط3، 2003م.

35. ميشيل فوكو: الاهتمام بالذات، ترجمة جورج ابو صالح، مركز الانماء العربي، لبنان، ط1، 1992م.

36. نبيل سليمان: الثقافة بين الظلام والسلام، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط1، 1996م.

37. نجم عبد الله كاظم: نحن والآخر في الرواية العربية: دار الفار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2013م.

38. هارلمبس وهوليورن: سوسيولوجيا الثقافة والهوية، تر حاتم حميد محسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2010م.

الملاحق

التعريف بالكاتبة "سحر خليفة":

ولدت سحر خليفة في 15 من كانون الثاني 1941م، فلسطينية الأصل، انخرطت في دوائر اليسار الفلسطيني، وقد عانت سحر خليفة من الاحتلال الصهيوني، فكانت تعيش هموم الآلاف من المشردين والمهجرين من أراضيهم، كل ذلك أثر على نفسيتها وكان لها وقع شديد على مسار أعمالها.

أهم أعمالها:

تأثرت سحر خليفة بالكتب الوجودية فقد قرأتها وطبقتها، ويبدو ذلك الشكل واضح في روايتها الأولى "لم نعد جواري لكم".

وقد تابعت "سحر" تعليمها في جامعة (بيرزيت) حيث التحقت بقسم الأدب الانجليزي الأمريكي، وبذلك أصبحت سحر خليفة نموذجا جديدا ذات انطلاقة جيدة وذو نفسية متحمسة.

ثم تصدر "سحر خليفة" روايتها الثانية (الصبار) عام 1974م الذي هو موضوع بحثنا والذي يمثل ويجسد وعيا اجتماعيا وسياسيا تفضح به النظم الطبقية المتدأولة في المجتمع.

ثم تصدر عملها الثالث (عباد الشمس) 1980م بدعم من الجامعة ثم تحصل على منحة جامعية لدراسة الماجستير عام 1981م.

وبعدها تصدر الرواية الرابعة (مذكرات امرأة غير واقعية) 1986م والتي تشبه إلى حد كبير السيرة الذاتية، ثم تصدر مجلة فصلية تحمل اسم (شؤون امرأة) صدر عددها الأول عام 1991م.

بعدها تصدر عملها الخامس رواية (باب الساحة) عام 1990م ثم رواية (الميراث) 1997م ثم رواية (صورة وأيقونة وعهد قديم) عام 2002م ثم تصدر روايتها التاسعة (أصل وفصل) عام 2009م.

وبذلك نجد الكاتبة الفلسطينية "سحر خليفة" المتميزة على الصعيدين العربي والعالمي، أن إنتاجها قد امتد على فترة زمنية مهمة ومنفصلة في تاريخ القضية الفلسطينية، فالدارس لروايتها يشعر ويكتشف بأن رواياتها تشكل علامة بارزة في مسار الإبداع النسوي في الأدب العربي الحديث، وهي روايات مع كل ما تحمله من أسرار وحقائق مثبتة يمكن دراستها من زوايا عديدة ومداخل متنوعة بسبب غناها الفكري والفني.

ملخص الرواية:

تدور أحداث هذه الرواية في الفترة اللاحقة لانهيار اتفاقية أوسلو في فلسطين وما تبع ذلك من حصار واحتياج لمدن وقرى فلسطين التابعة للسلطة الوطنية الفلسطينية والمذيعة الدموية في نابلس القديمة وحصار الرئيس عرفات في رام لله، وكعادتها ترصد سحر خليفة الأحداث التاريخية يمر أجلها المتعددة في فلسطين المحتلة من خلال شخصيات تجسد الواقع الفلسطيني لضعفه وقوته ونضاله البائس من أجل الحرية والخلاص وكرامة الانسان.

هذه الرواية تسلط الضوء على الخلفية التي تنطلق منها العمليات الاستشهادية وتتكلم سحر في ربيع حار على انتفاضة الأقصى وتطنب في الكتابة عن ربيع 2002 حيث احتاجت القوات الإسرائيلية مدن الضفة الغربية وحاصرتها، وحولت الضفة كلها إلى جزر منعزلة.

فالرواية بغلبة البعد الإنساني للفرد الفلسطيني، إذا صورت الكاتبة هواجسه وأحلامه وتصرفاته وسلوكه ونظراته الخاصة بفلسطين والحياة والمجتمع والعلاقات وعمق الصراع والمواجهة وبداية الأحلام المختلفة، والمتناقضة أحيانا والتي عاشها كل فرد منها على حدي، وفي الجزئين

تصوير حسي للمشاعر والعادات والعلاقات والتفاصيل اليومية لأناس بدوا وكأنهم منذرون القهر والتحدي.

فالرواية تسرد لنا مقتطفات من السيرة الحياتية لعائلته متواضعة مقيمة في بلدة عين المرجان في منطقة نابلس بدءا من تبيان التناقض بين الأب المهموم بفلسطين وصراعها ضد المحتل والولدين أكبرهما مشغول بموسيقى والغناء والعيش كشاب في مقتبل العمر يحلم بالسفر وصغيرهما مهووس بالرسم وهو في بداية تفتح وعيه بمحيطه وشعوره بالحب وأسئلته عن الآخر أي عن المستوطن وعن اليهودي والإسرائيلي وصولا إلى الانفجار الداخلي الذي يمثل بانكسار الاب وأحلام الوالدين بعد أن وجدا نفسيهما في داخل الصراع و الموت والعنف والتشرد حدث هذا كله في مرحلة اجتياح إسرائيل رام الله ومحاصرتها.

فهرس

الموضوعات

01	الاهداء	الصفحة
02	شكر وعرفان	
03	مقدمة	أ – ج
	الفصل الأول: تجليات الأنا والآخر في النص الروائي	
04	الأنا والآخر:	05
05	المفهوم اللغوي:	05
06	مفهوم الأنا والآخر اصطلاحا:	06
07	مفهوم الأنا والآخر في الفلسفة:	06
08	مفهوم الأنا والآخر في علم النفس:	07
09	مفهوم الأنا والآخر في علم الاجتماع:	09
10	ملخص المفاهيم المعجمية:	10
11	الأنا والآخر بين أزمات التسييس وانسلاب الهوية	11
12	الأنا والآخر من مرحلة الصراع إلى المصلحة	14
13	الرواية الإستعمارية في الأنا المستوعبة والأنا الفاعل	18
14	الرواية المعاصرة في الأنا الفاعلة والآخر المستوعب	21
	الفصل الثاني:	
15	1/–معمارية النص الروائي "الملخص".	25
16	2/–صورة الأنا والآخر في رواية "ربيع حار" بسحر خليفة.	25
17	أ–صورة الأنا الفلسطيني.	25
18	ب–صورة الآخر الإسرائيلي.	29
19	3/–أبعاد الأنا والآخر في المنجز الروائي.	32

20	أ–الأنا والآخر والهوية الثقافية.	33
21	ب–الأنا والآخر والهوية الدينية.	38
22	ج–الأنا والآخر والهوية الإستعمارية.	40
23	4/–تجليات الأنا والآخر في المنجز الروائي.	43
24	أ–خط الصراع والصدام.	43
25	ب–خط الرغبة والالتحام.	45
26	معمارية النص الروائي "الملخص":	48
27	**خاتمة**	50
28	**قائمة المصادر والمراجع**	52
29	**الملاحق**	58
30	**فهرس موضوعات**	62

الملخص:

نأولت دراستنا موضوع "أنا والآخر" في رواية {ربيع حار} للروائية الفلسطينية "سحر خليفة"، هادفة إلى التعريف بماهية الأنا والآخر ونظرة الدراسات لهذه الثنائية كونها من الثنائيات الضدية التي تقوم على الصراع.

واستنتاجا لما وصلنا اليه من خلال تعقبنا لصفحات رواية "ربيع حار" كونها من أبرز الروايات التي عالجت في طياتها قضية اجتماعية وأظهرت من خلالها معاناة الأنا من طرف الآخر، كما هدفت الدراسة إلى البحث عن تجليات الأنا والآخر في الرواية العربية بشكل عام ورواية "ربيع حار" بشكل خاص.

كما عالج البحث تجليات صورة الأنا والآخر وأبرز الاشكالات التي قد تسود العلاقة التي تربط الأنا بالآخر والتي ظهرت في الرواية على أنها علاقة صراع وعدأوة. فقد صورت لنا الكاتبة من خلال هذه التمثلات علاقة هذا الصراع المستبد والمدمر لنفسية وقدرة الأنا التي صارعته رغبة في التحرر والحصول على السلام الأبدي.

الكلمات المفتاحية: الأنا، الآخر، الصراع، فلسطين، ربيع حار.

ABSTRACT:

Our study was based on the theme "ANA WA ELAKHAR" in the Palestinian novel Sahar Khalifa, aimed at introducing what the ego and the other are and the view of the studies of this duality as one of the opposite dualities based on conflict.

In conclusion, we have tracked the pages of the novel "Rabie Har" as one of the most prominent novels that dealt with a social issue and showed the suffering of the ego on the other hand, and the study aimed to find the manifestations of the ego and the other in the Arabic novel in general and the novel "rabie hare" in particular.

The research also addressed the manifestations of the image of the ego and the other and the most prominent problems that may prevail in the relationship between the ego and the other, which appeared in the novel as a relationship of conflict and hostility. Through these representations, the writer portrayed to us the relationship of this tyrannical and destructive conflict to the psyche and the ability of the ego, which he struggled with in the desire to be free and to achieve eternal peace.

Keywords: Ego, Other, Conflict, Palestine, Hot Spring.